# الفصل الأول

# الجذور التاريخية
# للعلاقات العربية الأفريقية

يحتوي هذا الفصل على:

- أولا: مقدمة جغرافية عن القارة الأفريقية.
- ثانيا: العلاقات العربية الأفريقية قبل الإسلام.

# الفصل الأول
# الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية

## أولاً: مقدمة جغرافية عن القارة الأفريقية:

### 1- أصل تسمية أفريقيا:

تعدّدت الآراء والافتراضات حول أصل تسمية القارة الأفريقية بهذا الاسم[1] فاسم أفريقيا لم يكن يطلق على القارة كلها من قبل، بل كان يقتصر في البداية على منطقة منها في الشمال، أما بقية أجزائها فكانت لها أسماؤها مثل: برقة وطرابلس وبلاد الزنج[2]، وبلاد الحبشة وبلاد السودان [3].

والسودان هكذا على إطلاقه يحتوي تحته كل بلاد السودان، أي أصحاب البشرة السوداء، في الحزام الممتد في قلب القارة من الغرب إلى الشرق، ثم تحدّد اسم السودان على تلك المنطقة شبه الصحراوية والتي تعرف الآن بغرب أفريقية [4].

وبناء على هذا أطلقت أسماء أخرى على أصحاب البشرة السوداء في غير هذا الجزء، مثل اسم النوبة على سكان جنوبي مصر، واسم الحبشة على إثيوبيا، واسم الزنج على سكان الساحل الشرقي، يقول الإصطخري: «وبلدان السودان بلدان عريضة.. وليسوا هم بنوبة ولا بزنج ولا بحبشة.. ولا من البجة إلا أنهم جنس على حدة أشدّ سواداً من الجميع وأصفى»[5].

---

(1) سعيد، إبراهيم أحمد: أفريقيا جنوب الصحراء، دراسة في الجغرافية الإقليمية، جامعة السابع من إبريل (الزاوية، 1402و.ر / 1993م) ص 9.

(2) بلاد الزنج: هي شرق الخليج البربري تقابل بلاد الحبشة من البر الآخر، وأهلها مسلمون وأكثر معاشهم الذهب والحديد، ولباسهم جلود النمور، الإدريسي، محمد بن محمد عبدالله: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، بدون تاريخ) 1/ 59 – 60.

(3) عبدالظاهر، حسن عيسى: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقية وقيام دولة الفولاني، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة، 1412هـ/ 1991م) ط1، ص 36.

(4) المرجع نفسه، ص 44.

(5) الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد: المسالك والممالك، مكتبة الحسيني (القاهرة، 1381هـ/ 1961م) ص 34 .

ويذكر بن خلدون: «والسودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرهم بالمشرق الزنج، والنوبة، ويليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانة»[1].

كما تجدر الإشارة إلى أن بعض الكتّاب والجغرافيين العرب في العصور الوسطى، كانوا يخلطون بين مصطلحي بلاد السودان الغربي وبلاد التكرور[2].

والتكرور إقليم من أقاليم مملكة مالي وفي ذلك يقول العمري عند حديثه عن مملكة مالي وما بعدها: «وصاحب هذه المملكة المعروف عند أهل مصر بملك التكرور ولو سمع هذا أنِفَ منه، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته»، والأحب إليه أن يقال: «صاحب مالي لأنه الإقليم الأكبر وهو به أشهر»[3].

وقبل الخوض في أصل تسمية أفريقيا بهذا الاسم، علينا أولاً تحديد المنطقة جغرافياً، لأن هناك تضارب بين مؤرخي العرب وجغرافييهم حول حدود أفريقية، فمؤرخو العرب القدماء اعتبروا مدينة طرابلس أول حدود إفريقية ويليها مباشرة أول المغرب، وهناك من يطلق اسم أفريقية على جميع المغرب[4].

فياقوت الحموي يقول: «إفريقية بكسر الهمزة، وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس»[5].

ونقل ياقوت عن البكري قوله: «وحَدُّ أفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غربا، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان»[6].

---

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر (بيروت، 1400هـ/ 1979م) 5/ 234.

(2) غيث، مطير سعد: الثقافة الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المنار الإسلامي (بنغازي، 1426هـ/ 2005م) ص 30.

(3) العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حمزة أحمد عبّاس، منشورات المجمع الثقافي (أبو ظبي، 1423هـ، 2002م) 4/ 107-108.

(4) الأحمر، احمد مصباح: أفريقيا والعرب، شعبة التثقيف والإعلام والتعبئة (طرابلس، 1428م) ص 96.

(5) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر (بيروت، بدون تاريخ) 1/ 228.

(6) ياقوت الحموي: المصدر السابق، 1/ 228.

بينما يقول ابن أبي دينار القيرواني: «إفريقية من بلاد المغرب وعند أهل العلم إن أطلق اسم افريقية، فإنما يعنون به بلد القيروان، وأما أهل السير فيجعلونه إقليماً مستقلاً وله حدود ولهم فيه اختلاف»[1].

ويضيف قائلاً: «إن حد أفريقية من برقة إلى طنجة، وعرضها من البحر الشامي إلى الرمال التي أول السودان، قال غير واحد، قلت في زمننا هذا لا يعبر بأفريقية الأرض من وادي الطين إلى بلد باجة.. »[2].

أما العمري فيحددّها بقوله: «وإفريقية اسم الإقليم، وقاعدة المُلك بها مدينة تونس، وأضيف إليها مملكة بجاية ومملكة تدلس [3].. وطولها من تدلس إلى حدود برقة، وطرابلس أول مدنها مما يلي برقة، وتدلس آخر مدنها مما يلي الغرب الأوسط، وحدّها من الجنوب الصحراء الفاصلة بينها وبين بلاد جناوة المسكونة بأمم من السودان، ومن الشرق آخر حدود طرابلس... ومن الشمال البحر الشمال ومن الغرب آخر حدود تدلس لجزائر بني مَزْغِنَّه [4] آخر عمالة صاحب بر العدوة»[5].

ويتفق أبو الفداء مع المقدسي والإصطخري، ويفهم منهم أن أفريقية هي بلاد تونس الحالية والجزء الغربي من ليبيا، والجزء الشرقي من الجزائر إلى بجاية [6].

---

(1) ابن أبي دينار، محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، مؤسسة سعيدان (تونس، 1411هـ/ 1993م) ص 29.

(2) المصدر نفسه، ص 30.

(3) تدلس: مدينة على شاطئ المتوسط بين بجاية والجزائر تعرف حالياً بدلس ويذكرها القلقشندي بدليس، القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية (بيروت، 1407هـ/ 1987م) 5/ 95.

(4) جزائر بني مَزْغِنَّة: أو مَزْغِنَّا أو مَزْغِنّان ؛ هي مدينة الجزائر الحالية، حاشية التحقيق، العمري، المصدر السابق، 4/ 139.

(5) المصدر نفسه، 4/ 138-139.

(6) احمد الأحمر، المرجع السابق، ص 97.

أما المؤرخون المحدثون ومن بينهم ول ديورانت فيذكر: «وكانت قرطاجنة حاضرة الولاية المسماة أفريقية ومحلها الآن شرقي بلاد تونس» [1].

أما رُوسى فيحدّدها بالمنطقة التي تمتد من قسنطينة حتى طرابلس وأنها جزء من الأراضي الشاسعة للمنطقة التي تعرف باسم المغرب وتمتد شرقي طرابلس[2].

هذا من جملة ما ذكره المؤرخون قديماً وحديثاً في تحديد إقليم إفريقية ورأينا الاختلافات فيما بينهم، ولكن الغالب هو أن إقليم أفريقية هي المنطقة المعروفة الآن ببلاد تونس [3].

أما عن سبب تسمية الإقليم بأفريقية فهناك عدّة افتراضات وآراء للعديد من المؤرخين ؛ فمنهم من قال بأن الاسم مشتق من إفريقش بن أبرهة بن الرائش الحموي الذي غزا الروم في هذه المنطقة حتى انتهى إلى طنجة فسميت باسمه [4].

وخالف آخرون إلى القول بأنّها سميت إفريقية بإفريقيس بن صيفي بن سبأ بن يَشْجُب بن يعرب ابن قحطان وهو الذي اختطها، حيث إنه لما غزا المغرب انتهى إلى موضع واسع رحيب، كثير الماء، فأمر أن تبنى هناك مدينة، فبنيت وسمّاها أفريقية، اشتق اسمها من اسمه ثم نقل إليها الناس [5]، وفي ذلك يقول إفريقيس:

بربرت كنعـــان لما سقتهـــا ... من أراضي الضنك للعيش الخصيب [6]

ثم نسبت تلك الولاية بأسرها إلى هذه المدينة، وعاد إفريقيس هذا إلى اليمن، وفي ذلك قال بعض أصحابه هذه الأبيات:

---

(1) ديورانت، ول:قصة الحضارة(قيصر والمسيح)، الهيئة المصرية للكتاب(القاهرة، 1422هـ/ 2001م)11/ 33.

(2) روسّى، إيتوري: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة التليسي، الدار العربية للكتاب (بيروت، 1411هـ/ 1991م) ص 25.

(3) حسن عبد الظاهر، المرجع السابق، ص 36.

(4) الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن طالب الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1408هـ/ 1988م) ط1، ص 309.

(5) ياقوت الحموي، المصدر السابق، 1/ 228.

(6) مناع، محمد عبد الرزاق: إفريقش فاتح القارة الأفريقية، دار مكتبة الفكر (طرابلس، 1313هـ/ 1973م) ص 28.

سِرْنا إلى المغرب في جَحْفَـل ... بكـل قَـرمٍ أرْيَحـي هُمـام [1]
نخوض بالفرسان، في مَأْقِطٍ ... يكثر فيه ضـرب أيْدٍ وهـام [2]
فأضحت البربر في مَقْعَص [3] ... نُحـو سُهـم بالمشرفيّ [4] الحُسام
في موقـف، يبقى لنا ذكـره ... ما غرّدت في الأيك، وُرقُ الحمام [5]

ويضيف ياقوت قائلاً: «.. إن إفريقية سميت بفاروق ابن بيصر بن حام بن نوح (عليه السلام)، وأن أخاه مصر لما حاز لنفسه مصر فارق أفريقية»[6] ويضيف أنه لما اختط المسلمون القيروان خرّبت إفريقية، وبقى اسمها على الصقع جميعه، وأن أهل مصر يسمّون ما عن يمينهم إذا استقبلوا الجنوب بلاد المغرب، ولذلك سمّيت بلاد إفريقية وما وراءها بلاد المغرب، يعني أنها فرّقَت بين مصر والمغرب، فسمّيت إفريقية، لا لأنها مسماة باسم عامرها [7].

أما ابن أبي زرع فيقول أنّها سميت بإفريقيا لأنها فرّقت بين المشرق والمغرب ولا يفرق بين الإثنين إلا أحسنها، وقيل سميت إفريقية باسم أهلها وهم الأفارقة، والأفارقة من ولد قوط بن حام ولد نوح (عليه السلام) سموا باسم البلاد [8].

وقيل إن اسمها إبريقية من البريق، لأن سماءها خالية من السحب، وهذا القول بعيد لأن إفريقيا كثيرة السحب حتى قال بعضهم: إن القيروان لا تخلو من السحب في أكثر أيام السنة، ويعبّر عن فحص القيروان بمزّاق، لأن السحب تتمزق منه حتى قال بعضهم تنشأ

(1) قَرْم: بمعنى السيد، أريحيّ: بمعنى واسع الخلق، همام: السيد الشجاع السخي، الزاوي، أحمد الطاهر: مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، مطابع مايتوكرومو (أسبانيا، 1390و.ر/ 1981م) ص 498، 19، 638.

(2) وهام: بمعنى الرأس، المرجع نفسه، ص 645.

(3) مقعص: بمعنى تغيرت ألوانهم من الحزن أو الفزع، المرجع نفسه، ص 580.

(4) المشرفي: بمعنى السيف، المرجع نفسه، ص 573.

(5) ياقوت الحموي، المصدر السابق، 1/ 228.

(6) المصدر نفسه، 1/ 228.

(7) المصدر نفسه، 1/ 228.

(8) ابن أبي زرع، علي بن محمد الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدنية فاس، تورنبرج (أبسال، 1259هـ/ 1842م) ص 43.

السحابة بالقيروان، وتمطر في صقلية وغالب بلاد إفريقية كثيرة السحب والأمطار وغالب الأوقات لا تخلو من السحب [1].

أما المراكشي فيذكر أن اسم إفريقية اسم ملكة حكمت إفريقية وقيل إنها إبريقية [2].

والحسن الوزان عند حديثه عن منشأ اسم إفريقيا فيقول: «تدعى أفريقيا بالعربية، إفريقية من كلمة فَرَقَ التي تقابل معنى الكلمة اللاتينية Separarit، وهناك رأيان حول أصل التسمية، فالأول يرتكز على أن هذا الجزء من العالم ينفصل عن أوروبا وعن جزء من آسيا بواسطة البحر المتوسط»[3]، أما القول الثاني عن أصل التسمية فهو: «أن هذا الاسم مشتق من أفريقوس ملك بلاد العرب السعيدة (اليمن) على اعتبار أنه أول من جاء إليها وسكنها، فبعد أن هُزم هذا الملك في معركة مع آشور وطرد من مملكته عجز عن العودة إليها فعبر النيل على عَجَل متابعاً طريقه نحو الغرب، ولم يتوقف قبل وصوله إلى ضواحي قرطاج. ولهذا فإن العرب لا يقصدون بإفريقية سوى ضواحي قرطاج ذاتها ويطلقون على مجموع إفريقية اسم المغرب»[4].

وهناك رأيٌ آخر يقول أن الرومان كانوا يسمّون آفر Afer وجمعها أفري Afri المواطن البوني من أهل قرطاج، وذلك عندما اجتاحوا قرطاج عام 146ق.م وخربوا المدينة وأنشأوا مقاطعة إفريقيا Provincia Africa أو إقليم الآفر اختصاراً، أما العرب فقد تحوّلت عندهم كلمة إفريقيا إلى إفريقية Ifrikiya وهو اسم كانوا يقصدون به تقريباً بلاد تونس الحالية [5].

أما المؤرخ الإيطالي إيتورى روسي فيرى أن اسم أفريقيا الذي يوجد لدى مؤرخي وجغرافي الرومان، لا يستبعد أن يكون منحدراً من الشعوب البربرية التي تعامل معها الرومان بكلمة

(1) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 29 – 30.

(2) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبدالحميد، طبعة آفاق عربية (بغداد، بدون تاريخ) ص 111 – 112.

(3) الوزان: الحسن بن محمد الزياتي: وصف أفريقيا، ترجمة: عبدالرحمن حميدة، علي عبدالواحد، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض، 1399هـ/ 1979م) ص 35.

(4) المصدر السابق، ص 35.

(5) غوتيه، ا.ف: ماضي شمال أفريقيا، ترجمة: هاشم الحسيني، دار الفرجاني (طرابلس، 1390هـ/ 1970م) ص 89.

أفري Afri أو أفريكاني Africani، جميع شعوب أفريقيا الشمالية وعلى وجه الدقة المنطقة التي تطابق حالياً تونس، وفي القرون الوسطى وحتى القرن السادس عشر كانت كلمة أفريقيا تعني بلدة المهدية بتونس التي عرفت آنذاك بكثرة ما تعرّضت له من هجمات وغزوات الجيوش المسيحية [1].

ويرى مؤلف كتاب – أفريقش فاتح القارة الأفريقية – أنه خلال الألف الثاني قبل الميلاد، وصل إلى ما يسمى الآن ليبيا أفريقش بن قيس بن صفي ملك التبابعة من قبائل كهلان وصيفي العربية قادمين من جنوب شبه الجزيرة العربية، ومعهم قبائل بني كنعان من أهل الشام، وأقام المهاجرون في منطقة الشريط الساحلي والواحات الليبية بعد أن اجتازوا وادي النيل عن طريق واحة سيوه وعكرمة والواوات واستقروا هنا وهناك، وبثوا مجتمعاً احتفظ بأرومته العربية الأصيلة، رغم ما تعرض له من غزوات الإغريق والفرس والروم [2]، وقد أطلق الفينيقيون اسم أفري على ليبيا الآن، نسبة لأفريقيش وحرّفه الإغريق إلى أفريكا، وقلّدهم الرومان فيما بعد، ولكن عمرو بن العاص أسماها أفريقيا، وعممت التسمية على القارة بأسرها [3].

وهذه الروايات يغلب على الظن أن بعضها من نسج الخيال لسد النقص، وتغطية الفراغ وتجلية الغموض الذي يكتنف هذا الاسم، الذي أطلق يوماً ما على حدود منطقة جغرافية معينة، ثم جاء الجغرافيون من بعد وحاول كلٌّ منهم أن يجتهد رأيه في تغطية دراسة هذا الاسم فاختار كل واحد منهم رؤية معينة [4].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تطرق بعضهم إلى وصف سكان إفريقية بأنهم أمة عظيمة من بقية قوم جالوت، لما قتل هرب قومه إلى المغرب فتحصّنوا في جبالها، ولكنّهم في الوقت نفسه يصفونهم بسوء السيرة وقوة البطش، والدخول في الفتن والترحيب بدعاة الضلال [5].

---

(1) إيتوري روسي، المرجع السابق، ص 24.

(2) محمد مناع، المرجع السابق، ص 11 - 12.

(3) المرجع نفسه، ص 12.

(4) الوازني، مسعود عبدالله: إفريقية، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 19 لسنة 2002م (طرابلس، 1423هـ/ 2002م) ص 490.

(5) مسعود الوازني، المرجع السابق، ص 490.

ونخلص أخيراً إلى أن اسم أفريقيا لم يكن يطلق على القارة كلها من قبل، فقد كان إطلاقه أولاً قاصراً على منطقة منها في الشمال، هي المعروفة الآن ببلاد تونس، أما بقية أجزائها فكانت لها أسماؤها كما أشرنا آنفاً، ثم عُمم اسم إفريقيا على القارة كلها وبه تعرف الآن [1].

## 2- الموقع الجغرافي والمساحة:

إفريقيا هي إحدى قارات الأرض قديماً وحديثاً، حيث تقع بين دائرتي عرض 37 شمالاً و 35 جنوبا، وبين خطي طول 52 شرقاً و 20 غرباً، أما بالنسبة للقارات، فإنها تقع إلى الجنوب من كتلة قارة أوربا، وإلى الجنوب الغربي من قارة آسيا، وإلى الشمال من القارة القطبية الجنوبية [2].

والقارة الإفريقية محاطة بعدة محيطات وبحار من كافة الاتجاهات، حيث إن الماء يحيط بها من كل جانب بعكس قارتي آسيا وأوروبا ؛ حيث يحدّها غرباً المحيط الأطلسي، وشمالاً البحر الأبيض المتوسط، وشرقاً البحر الأحمر ملتقى المحيطين الهندي والأطلسي والناظر إلى خريطتها يرى صورة لكتلة أرضية كبيرة تقع في النصف الشرقي من الكرة الأرضية مثلثة الشكل تقريباً أشبه ما تكون بالكمثرى رأسها للجنوب وتستند بقاعدتها على البحر الأبيض المتوسط الذي يفصلها عن أوروبا ويقربها منها مضيق جبل طارق [3].

كما أنها معزولة عن الاتصال الأرضي بباقي القارات، إلا أن هناك ارتباط بقارة آسيا من الناحية الشمالية الشرقية عبر شبه جزيرة سيناء [4].

وعن خطوط الطول والعرض، فإن خط الاستواء يمر بوسطها، حيث يخترق كلاً من: جنوب الصومال وكينيا وأوغندا والكونغو والجابون، كما يمر بالقارة مداري السرطان والجدي، حيث يمر الأول عبر عدّة دول في شمالها وهي: موريتانيا – مالي – الجزائر – ليبيا –

(1) حسن عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية، ص 36.

(2) شاور، آمال إسماعيل: الجيومورفولوجيا والمناخ، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1400هـ/ 1979م) ص 10.

(3) حسن عبدالظاهر، المرجع السابق، ص 35 – 36.

(4) إسماعيل، أحمد علي: محاضرات في جغرافية أفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية (القاهرة، 1390هـ/ 1970م) ص 7.

مصر، بينما يمر مدار الجدي في جنوبها حيث يعبر جزيرة مدغشقر وموزمبيق وجنوب أفريقيا وبوتسوانا وناميبيا، ويمر بالقارة أيضاً خط جرينتش، حيث يمر في جزئها الغربي من خلال الجزائر ومالي وبوركينا وغانا [1].

ومن حيث المساحة تبلغ مساحة القارة حوالي 30 مليون كم2 [2]، فهي تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول يصل إلى حوالي 8000 كم، بدءاً من الرأس الأبيض في تونس ويقع على خط العرض 37.20 شمالاً، وحتى رأس الإبرة بالقرب من رأس الرجاء الصالح في جنوب القارة على خط العرض 34.52 جنوباً [3].

أما أقصى اتساع لها فهو حوالي 7800كم على امتداد خط العرض 12 شمالاً [4] من رأس المدى في السنغال على خط الطول 17.33 غرباً، وحتى رأس خافون في الصومال على خط الطول 51.24 شرقاً، وهي بذلك تعادل خمس اليابس على كوكب الأرض، وتشغل مساحة الجزر التابعة لها نحو 1.1 مليون كم$^2$، وهي تعد من القارات قليلة الجزر حيث يتبعها من الشرق في المحيط الهندي، جزر سوقطرة وزنجبار وجزر القمر وسيشل، وجزيرة مدغشقر، وهي أكبر الجزر التابعة لها [5]، أما في المحيط الأطلسي فتتبعها عدة جزر أهمها جزر ماديرا، والكناري «الخالدات»، والرأس الأخضر في الشمال، وسان كومى، وبغالو في خليج غينيا[6].

### 3- البنية أو التكوين الجيولوجي:

أفريقيا جزء من قارة جندوانا القديمة، بل إنها تحتل قلب هذه القارة، فمنذ 250 مليون سنة تقريباً، أي منذ الزمن الأول كانت هناك قارة واسعة صلبة متكونة من مادة السيال ذات

(1) أبوعيانة، فتحي: جغرافية أفريقية، دار النهضة العربية (بيروت، 1403هـ/ 1982م) ص 23.
(2) آمال شاور، المرجع السابق، ص 15.
(3) إبراهيم سعيد: أفريقيا جنوب الصحراء، ص 9.
(4) آمال شاور، المرجع السابق، ص 15.
(5) إبراهيم سعيد، المرجع السابق، ص 9 – 10.
(6) المرجع نفسه، ص 10.

الكثافة المنخفضة [1]. وتتمثل صخورها في الشيست والكوارتز والفيلفلين والمرمر وغيرها من الصخور الجوفية، إضافة إلى تداخل كتل جرنيتية ضخمة، وتطفو مادة السيال فوق مادة السيما ذات الكثافة العالية، وقد سمى الجيولوجيون هذه القارة باسم قارة جندوانا لاند، وكانت القارة الأفريقية تحتل مركز الوسط فيها [2].

وقد حدث أثناء الزمن الثاني بعض التصدع، فانقسمت جندوانا إلى عدة أقسام، وتزحزحت فابتعد بعضها عن البعض الآخر مكوناً الكتل القديمة المعروفة حالياً، والتي تشمل بالإضافة إلى أفريقيا هضبة الدكن، ومعظم استراليا في الشرق وهضبة البرازيل في الغرب والقارة القطبية الجنوبية (أنتاركتيكا) في الجنوب [3].

ويعتقد أغلب الجيولوجيين بأن كتلة القارة الأفريقية كانت متصلة بقارات ما قبل الكمبرى[4]، وفي مرحلة الزمن الثاني الميزوزوى بدأت كتلة قارة جندوانا لاند تتكسر إلى كتل أصغر مكونة الكتل القديمة، التي تحركت بعد التكسر بعيداً عن إفريقيا، وتظهر آثار التكسر واضحة في شرق القارة وغربها على السواء [5].

ففي الشرق توجد بقايا انفصال الهند عن أفريقيا في الكتلة الصغيرة المكونة لجزر سيشل والتي تقع على بعد حوالي 1800كم شرق ساحل كينيا، وفي الغرب يمثل أخدود نهر بنوى والمجرى الأدنى لنهر النيجر شاهداً آخر على انفصال أفريقيا عن أمريكا الجنوبية، حيث يوجد امتداد لهذا الأخدود في شمال شرق أمريكا الجنوبية وعلى وجه التحديد في دولة جوبانا [6].

---

(1) فليجة، أحمد نجم الدين: أفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مركز إسكندرية للكتاب (الإسكندرية، 1423هـ/ 2002م) ص 127.

(2) المحيشي، عبدالقادر وآخرون: جغرافية القارة الأفريقية وجُزَرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان (مصراتة، 1430هـ/ 2000م) ط1، ص 19.

(3) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 127.

(4) ما قبل الكمبرى أي منذ 600-500 مليون سنة ويطلق عليه عصر التريلوبيتات وهو عصر الحياة المبكرة الأولى، حيث ظهرت الطحالب والفطريّات والرخويات البحرية، وكانت الأرض تتعرض أثناء هذه الحقبة لبراكين مدوية = عون، أحمدمحمد:كتاب المفسدون في الأرض، شبكة المعلومات الدولية، ص2.

(5) آمال شاور، وأحمد علي إسماعيل: إفريقيا المعاصرة – البيئة والإنسان والتحدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة، 1428هـ/ 1998م) ص 7 – 8.

(6) المرجع نفسه، ص 8.

ويؤيد هذه النظرية تشابه التعاريج الساحلية الغربية لأفريقيا مع التعاريج الشرقية لأمريكا الجنوبية، وانطباقهما مع بعضهما، وكذلك التشابه في البنية بين مرتفعات الكاب في جنوب أفريقيا مع مرتفعات فنتانا في الأرجنتين، ومرتفعات جنوب غرب أفريقيا مع مرتفعات البرازيل الجنوبية [1].

ومن الدلائل على التكسر والانفصال ما سجله العلماء من ابتعاد أمريكا الجنوبية عن أفريقيا بمعدل 2 سم سنوياً، وهو المعدل الذي يساوي المسافة الحالية بين القارتين إذا كانت الزحزحة قد بدأت منذ حوالي 200 مليون سنة أي منذ العصر الكريتاسي [2].

ومن المؤكد أن قارة أفريقيا كانت ولا تزال كتلة قديمة بقيت محافظة على شكلها، حيث لم يتأثر أساسها الآركي بأية حركة من حركات الضغط والشد كما تأثرت به بقية القارات الأخرى، وبقيت على هيئة هضبة شديدة الصلابة، لكنها لم تسلم من التغيرات في بعض مظاهر السطح خلال العصور الجيولوجية اللاحقة [3].

فعند النظر إلى قارة أفريقيا، نجد أن داخل الهضبة الإفريقية خال من الجبال الإلتوائية الحديثة المعقدّة التضاريس، ومع كل هذا نجد أنّ هذه القارة لم تسلم من بعض التطورات التي أدت إلى تغيير معالم سطحها في بعض الأقسام خلال العصور الجيولوجية المختلفة، كما أدت إلى تنوع صخورها، فمثلاً: غمرت مياه البحر مسافات واسعة من حافاتها، وانحسارها ثانية في فترات متعاقبة أضاف إلى حافات هذه القارة صخوراً جيرية، تظهر في الوقت الحالي فوق السطح، كما هو الحال في شمال أفريقيوالقرن الأفريقي [4].

---

(1) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 127.

(2) آمال شاور:المرجع السابق، ص 8، نقلاً عن:

Buckle،C: Land forms In Africa،Longman (London،1978). P 10.

(3) عبدالقادر المحيشي، المرجع السابق، ص 20.

(4) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 127.

وانفصلت جزيرة مدغشقر عن القارة، وذلك عند انتهاء العصر الترياسى [1] وهي أكبر الجزر الواقعة أمام ساحلها الغربي وتكاد تنطبق على الساحل الشرقي للقارة المواجهة لها [2].

وفي أثناء العصر الكريتاسي [3]، تكونت صخور جيرية في نطاق يشمل الصحراء الكبرى، ويمتد جنوب نيجيريا والكامرون، وأنجولا حيث كان هناك مضيق بحري ضيق يبدأ من البحر المتوسط [4].

وتعرضت القارة لضغوط شديدة في عصر الأوليجوسين[5](40 - 25 مليون سنة) لم تستجب لها بالإلتواء سوى مساحات محدودة في شمال أفريقيا فارتفعت جبال أطلس في المغرب على فترات أو دفعات في الأوليجوسين والميوسين [6] وتتفق هذه مع تكوينات جبال الألب الأوروبية [7]. أما بقية القارة فكانت استجابتها للحركات التكتونية ممثلة في صدوع ضخمة، فقد بدأت حركة التصدع الأرضية التي تتبع الخطوط الأرترية التي تتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ويَكاد يُجمع الجغرافيون أن الأخدود الأفريقي العظيم تكون في العصر الكريتاسى واستمر إلى أوائل الزمن الثالث [8].

---

(1) العصر الترياسي: أي منذ 230-180 مليون سنة وفيه ظهر الديناصور الأوّل والثديات وبعض الزواحف كالسلحفاة والقواقع والذباب والنباتات الزهرية.أحمد عوف، المرجع السابق، ص3.

(2) آمال شاور: إفريقيا المعاصرة، ص 8.

(3) العصر الكريتاسي:أو الطباشيري أي منذ 135- مليون سنة، وفيه ثم انقراض الديناصورات وزادت أعداد الثديّات الصغيرة البدائية كالكنغر وظهرت أشجار البلوط والدردار. أحمد عوف، المرجع السابق، ص 3.

(4) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 129.

(5) عصر الاوليجوسين: معظم صخوره قارّية ولقد وجد به أجداد الأفيال المصرية المنقرضة وظهرت ثديّات جديدة كالخنازير البريّة والقطط وحيوان الكركدن.أحمد عوف، المرجع السابق، ص 3.

(6) عصر الميوسين: منذ 24 – 5 مليون سنة وفيه عصر الفيلة بمصر وفيه رسوبيّات البترول وظهر به ثديات كالحصان والكلاب والدببة والطيور المعاصرة والقردة، المرجع السابق، ص 4.

(7) سعودي، محمد عبدالغني: أفريقية في شخصية القارة، شخصية الأقاليم، مكتبة الإنجلو المصرية (القاهرة، بدون تاريخ) ص 22.

(8) عبد القادر المحيشي، المرجع السابق، ص 30 ؛ كذلك محمد سعودي، المرجع السابق، ص 22، وأحمد فليجة، المرجع السابق، ص 129، وآمال شاور: أفريقيا المعاصرة، ص 9.

حيث يمتد هذا الأخدود من بحيرة نياسا حتى البحر الأحمر، كما في قارة آسيا حتى جبال طوروس، ويبلغ طول هذا الأخدود حوالي 4800كم، ويلاحظ أن البحيرات الواقعة ضمن الأخدود تمتاز بشكلها الطولي، أولها بحيرة نياسا التي تقع في طرف الأخدود الجنوبي، ويبلغ طولها 575كم، ولا يتجاوز عرضها 32كم، ومياه هذه البحيرة لا تنصرف باتجاه الشمال، بل في اتجاه الجنوب، بواسطة نهر شيري الذي تصب مياهه في دلتا نهر الزمبيزي [1].

وإلى الشمال من بحيرة نياسا يتفرع هذا الأخدود إلى فرعين أحدهما قصير ممتد على هيئة قوس في اتجاه شمال غربي، ثم إلى الشمال والشمال الشرقي تمثل في مجموعة بحيرات تنجانيقا وكيو وادوارد وألبرت وينتهي قرب لادو عند بداية بحر الجبل ويشتمل على نيل ألبرت ونهر السمليكى [2].

أما فرعه الثاني فيتجه شمالاً مع انحراف بسيط شرقاً عبر تنجانيقا، وهنا لا تظهر معالمه بشكل جلي ويستمر شمالاً في كينيا وأثيوبيا حتى البحر الأحمر مكوناً مجموعة من البحيرات الصغيرة مثل بحيرة نايفاشا وناكورد وبارينجو، وتظهر معالمه بشكل واضح في كينيا حيث تمتد حوافه شرقاً وغرباً على شكل هضاب عالية ويكون بحيرة رودلف في شمال كينيا، ثم يأخذ عدة اتجاهات إلى الشمال والشمال الشرقي، فيقسم كتلة الحبشة إلى قسمين، كتلة الصومال في الجنوب الشرقي وهضبة الحبشة في الشمال الغربي [3].

ومن الملاحظ عند دراسة الأخدُود الأفريقي أن اتساعه ووضوح جوانبه، يختلفان من مكان إلى آخر، فبعد أن يكون واسعاً في قسمه الشمالي بين كتلة الصومال وهضبة الحبشة نراه ضيقاً في أقسامه الجنوبية وبعد أن يكون عميقاً شديد الانحدار واضح الجوانب في كينيا، نجده غير واضح الجدران في تنجانيقا حيث عملت التعرية على تغيير معالمه [4].

ونتيجة لحركات الشد إلى الأسفل، تكوّن الوادي الانكساري والتي أدت في الوقت نفسه إلى هبوط القسم الأوسط من المنطقة بفعل الجاذبية، غير أن البعض يرجّح تكوينه نتيجة

(1) فتحي أبوعيانة: جغرافية إفريقية، ص 96.

(2) عبدالقادر المحيشي، المرجع السابق، ص 30.

(3) المرجع السابق، ص 30.

(4) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 131.

لاندفاع السطح على الجانبين بسبب عامل الضغط، وهبوط القسم الأوسط الذي ارتبط بالاندفاع الجانبي [1].

وقد صاحب تكوّن هذا الأخدود ظهور انكسارات شديدة عقّدت من مظاهر السطح، إلى جانب لوافظ بركانية من باطن الأرض سببت في ارتفاع مناطق عديدة من الهضبة وظهور جبال مرتفعة مثل كلمنجارو وكينيا، ومن ظواهر الزمن الثالث أيضاً حركة الإلتواء للتكوينات الجيرية في شمال غرب القارة والتي تكوّنت نتيجة لها جبال أطلس في المغرب والجزائر، وقد سبق هذه الحركات الإلتوائية، حركات أخرى في الزمن الثاني نشأت عنها مرتفعات أقصى جنوب القارة من منطقة الكاب [2].

أما أثناء الزمن الرابع وخلال العصر الحديث، تكوّنت الرواسب البحرية التي تغطي في الوقت الحاضر قيعان الأحواض الداخلية للأنهار كبحيرة تشاد، وبحيرة تومبا وبحيرة ليوبولد في حوض الكونغو، كما تكونت في هذين الزمنين رواسب بحرية في المناطق الشمالية والشرقية من القارة، وقد سبب هذا في ارتفاع قيعان تلك الأحواض [3].

وأخيراً فقد نشر العالم الجيولوجي دي توات سنة 1937م كتابه الذي تضمن دلائل جديدة تؤكد نظرية زحزحة القارات، ورأى قارتين بدلاً من قارة واحدة، الأولى قارة أوراسيا وتشمل أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية، والثانية قارة جندوانا وتشمل أمريكا الجنوبية وأفريقيا واستراليا والهند وأنتاركتيكا، وفي نظريته تأكيد على أن أفريقيا هي قلب جندوانا لاند، وأيده في ذلك الأستاذ كنج معتمداً على الصفة القارية لصخور أفريقيا، حيث أوضح أن نباتات (Glossopeteis) يشيع وجودها في التكوينات الكربونية في البرازيل والهند واستراليا، وانعدام وجودها في أوروبا وأمريكا الشمالية مما يؤيد بأنها تنتمي إلى قارة أخرى غير التي تنتمي لها أوراسيا وأمريكا الشمالية [4].

---

(1) رياض، محمد وكوثر عبدالرسول: إفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية (بيروت، 1393هـ/ 1973م) ص 75.

(2) أحمد فليجة، المرجع السابق، ص 131.

(3) المرجع السايق، ص 132.

(4) عبدالقادر المحيشي، جغرافية القارة الأفريقية وجزرها، ص 34.

## 4- مناخ القارة:

لكي تكتمل الدراسة الطبيعية لأي منطقة لابد من معرفة ظروفها المناخية وخصائص المناخ فيها، ذلك لأن المناخ يؤثر على حالات الهطل وشدّتها وبالنظام المائي وغزارة الأنهار وديمومة جريانها، ويؤثر بشكل مباشر على خصائص التربة وأنواعها والنمو النباتي والحيواني وتنوعها، وفي النهاية يحدد إلى درجة كبيرة أنماط النشاط البشري، وفعالياته الاقتصادية وأنشطته الحياتية والاجتماعية [1].

ويتميز مناخ القارة بالبساطة إذا ما قورن بمناخ بعض القارات الأخرى، حيث يتوسطها خط الاستواء، ومن ثم تتكرّر الخصائص والأقاليم المناخية على كلا جانبيه، كما أن أكثر من ثلاثة أرباع أقاليم القارة تدخل ضمن الأقاليم المدارية، ولا تختلف بها درجات الحرارة كثيراً إذا ما قورنت بالتناقضات الحرارية الكبيرة الموجودة في أوربا وأمريكا الشمالية [2].

وتوجد عدة عوامل تؤثر على مناخ إفريقيا، وكلاًّ من هذه العوامل يترك بصماته واضحة على مناخ القارة، ويمكن إجمال هذه العناصر المؤثرة على مناخها على النحو التالي:

### ـ الموقع:

تقع القارة الإفريقية بين دائرتي عرض 21 × 37 شمالاً ويمثّله الرأس الأبيض في تونس، وبين 51×35 جنوباً في أقصى الجنوب لجمهورية جنوب أفريقيا، ويخترقها من الوسط خط الاستواء حيث يمر عند نهاية الصومال مروراً بوسط كينيا ووسط أوغندا والأجزاء الشمالية من زائير والكونغو والجابون [3].

كما يقع مدار السرطان في الأجزاء الشمالية للقارة مروراً بمصر عند بحيرة أسوان وجنوب ليبيا والجزائر وأقصى شمال مالي وشمال موريتانيا أما مدار الجدي فيقطع أقسامها الجنوبية مروراً بالأجزاء الجنوبية والأجزاء الشرقية لجمهورية جنوب إفريقيا وجنوب بوتسوانا ووسط ناميبيا [4].

---

(1) إبراهيم سعيد، المرجع السابق، ص 16.

(2) آمال شاور: أفريقيا المعاصرة، ص 73.

(3) عبد القادر المحيشي، المرجع السابق، ص 69.

(4) إبراهيم سعيد، المرجع السابق، ص 17.

وبذلك فإن أغلب أراضي القارة تقع ضمن المدارين مما يؤدي إلى وصول الأشعة الشمسية بشكل عمودي تقريباً عليها، مما أدى إلى ارتفاع معدلات درجات الحرارة فيها، باستثناء المناطق المرتفعة، كما أن موقع القارة إلى الجنوب الغربي من كتلة اليابس الآسيوي أثرّ تأثيراً كبيراً على قسمها الشمالي الواسع، فجعله صحراوياً وحاراً وذلك بسبب هبوب الرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافة معظم أيام السنة [1].

**ـ امتداد السلاسل الجبلية:**

إن عدم وجود سلاسل جبلية تمتد امتداداً عظيماً في أطراف القارة كما هو الحال في الأمريكتين من مميزاتها، حيث جعلتها هذه الميزة مفتوحة أمام الرياح التي تهب من مناطق الضغط العالي إذ إنه لولا انبساط سطح القارة، وعدم وجود الجبال العالية، لما وصلت الرياح الموسمية الممطرة الجنوبية الغربية إلى السودان والحبشة، وهي القادمة من المحيط الأطلسي وخليج غينيا بعد أن عبرت مئات الكيلومترات من اليابس الأفريقي [2].

**ـ البحار والتيارات البحرية:**

إن توزيع اليابس والماء على سطح الأرض من أهم العوامل التي تتحكم في المناخ، بعد موقع المكان بالنسبة لخطوط العرض، فالبحار مصدر الرطوبة واعتدال الحرارة، فهذه القارة تحيطها البحار من كل جانب فالمحيط الهندي والبحر الأحمر من الشرق، والمحيط الأطلسي من الغرب، والبحر المتوسط من الشمال [3].

ويعتبر المحيط الهندي الممول الأساسي لأمطار الأقسام الشرقية من القارة، كما يعتبر المحيط الأطلسي مصدر أمطار الأقسام الغربية منها، وبالنسبة للبحر المتوسط، فهو مصدر الأمطار الشتوية، واعتدال الحرارة على السواحل الشمالية للقارة [4].

---

(1) آمال شاور: الجيومورفولوجيا والمناخ، ص 57.

(2) أحمد فليجة: أفريقيا دراسة عامة وإقليمية، ص 154.

(3) المرجع نفسه، ص 155.

(4) المرجع نفسه، ص 155.

**ـ الغطاء النباتي:**

يؤثر الغطاء النباتي على المناخ بشكل كبير، فالغابات الكثيفة التي تنمو في الجهات الاستوائية والمدارية من القارة، تساعد بما يتبخر من أوراقها العريضة على زيادة نسبة الرطوبة في الجو، وبذلك تكون عاملاً يسبب في غزارة الأمطار كما تؤثر هذه الغابات والحشائش على النهايات العظمى والصغرى للمدى اليومي والشهري والسنوي للحرارة [1].

فكل هذه العوامل التي ذكرناها تؤثر على المناخ وعناصره من ضغط ورطوبة وحرارة ومطر وهذه العناصر هي التي تتحكم في تقسيم القارة إلى أقاليم مناخية [2].

**5- السكان والسلالات البشرية:**

قبل أن نخوض في السلالات البشرية علينا أولاً تحديد موطن الدراسة لأن تضاريس ومناخ القارة من الصعب فصله لتشابه المناخ ووحدة التضاريس في أغلب أرضها، أما السلالات البشرية والسكان فالذي يهمنا هم سكان المنطقة الواقعة جنوب الصحراء لأنها موطن الدراسة، وهذه المنطقة عرفت ببلاد السودان عند المصنّفين العرب الذين سبقوا غيرهم في معرفة أقاليم هذه القارة [3].

وكان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام الذين يقطنون جنوبي الصحراء الكبرى، إلا أنهم كانوا يطلقون هذا اللفظ أحياناً على كل السود الأفريقيين [4].

وقد اقتصر مفهوم السودان على منطقة السودان الأوسط في القرن الثالث الهجري [5]،

---

(1) أحمد فليجة، المرجع نفسه، ص 157.

(2) آمال شاور: الجيومورفولوجيا والمناخ، ص 64.

(3) الطيف، علي حامد خليفة: المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط، وأثرها على الحياة الاجتماعية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1371و.ر/ 2003م) ط1، ص 22.

(4) الدالى، الهادي المبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1420هـ/ 199م) ص 17.

(5) اليعقوبي، أحمد أبي يعقوب بن جعفر: تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف (بغداد، 1358هـ/ 1939م) 1/ 250.

وفي القرن الرابع الهجري يذكر المسعودي أن بلاد السودان هي المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى من المحيط الهندي إلى بحر الظلمات [1].

أما المقدسي فقد قال عنها: «وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قِبل الجنوب، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة، وهم أجناس كثيرة»[2].

وابن حوقل حدّد منطقة السودان بقوله: «وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان، فإن بلدهم في أقصى المغرب على البحر المحيط [3] بلد ملتف.. وحد له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض المغرب، وحداً له إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات»[4].

وقد أطلق البكري كلمة السودان على جزء من غرب أفريقيا، وهو الذي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً، إلى مشارف التربة على النيل شرقا، واعتبر مدينة سجلماسة مدخلاً إلى بلاد السودان حيث يقول: «أول بلاد السودان... جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق»[5].

ثم أصبح مفهوم بلاد السودان يشمل كل المنطقة الواقعة جنوب الصحراء، وهذا ما نجده عند القلقشندي، حيث حدّد بلاد السودان من الغرب بالبحر المحيط ومن الشرق ببحر القلزم[6]، ويفصّل ذلك بدقة في ست ممالك، ثم يحدّد بلاد السودان بقوله: «إنها تحد بلاد التكرور من الشرق، ثم يكون حدّها من الشمال بلاد إفريقية ومن الجنوب بلاد الهمج»[7].

---

(1) المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية (بيروت، 1408هـ/ 1988م) 2/ 240.

(2) المقدسي، محمد بن أبي بكر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن، 1379هـ/ 1959م) ص 331.

(3) البحر المحيط: هو المحيط الأطلسي أو الأطلنطي، وكان يعرف قديماً أيضاً باسم بحر الظلمات، سعد غيث، المرجع السابق، ص 29.

(4) ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة (بيروت، 1400هـ/ 1979م) ص 24.

(5) البكري، أبو عبيد عبدالله: المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان ليؤمن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب (تونس، 1413هـ/ 1992م) 2/ 837.

(6) بحر القلزم: المقصود به البحر الأحمر، الهادي الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا، ص 18.

(7) القلقشندي، المصدر السابق، 5/ 274.

ويقول عنها ابن خلدون: «والسودان أصناف شعوب وقبائل، أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة، يليهم الزغاوة، ويليهم الكانم، ويليهم من غربهم كوكو ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانة» [1].

فبلاد السودان إذاً معناها بلاد السود، ولذلك فقد ارتبط اسم السودان بالمناطق التي يقطنها السود، والمتاخمة لمصر وبلدان المغرب من ناحية الجنوب والتي بالإمكان الوصول إليها، وشهدت بالفعل وصول التيارات الأولى منذ وقت مبكر [2].

وأخيراً نخلص إلى أن العرب في العصور الوسطي هم أول من أطلق مصطلح بلاد السودان على الشعوب التي سكنت جنوب الصحراء الكبرى والتي هي مجال بحثنا، ويمكن تحديدها جغرافياً بالمنطقة الواسعة التي تمتد بين الصحراء الأفريقية الكبرى في الشمال والغابات الاستوائية في الجنوب، وشرقاً إلى البحر الأحمر وغرباً إلى المحيط الأطلسي، وأن أصل تسمية بلاد السودان مستوحى من لون البشرة التي يتميز بها سكان تلك المنطقة [3].

وقد قُسِّمت بلاد السودان من الناحية العلمية في التاريخ الحديث وبتعارف الدارسين إلى ثلاثة أقسام هي:

1- السودان الغربي: ويشمل حوض السنغال وبوركينا فاسو والنيجر الأوسط [4].

2- السودان الأوسط: ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد [5].

3- السودان الشرقي: ويمتد من البحر الأحمر شرقاً حتى إقليم دارفور غرباً أي يتكون من مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة [6].

---

(1) ابن خلدون: العبر، 5/ 234.

(2) علي الطيف، المرجع السابق، ص 24.

(3) محمد، ظاهر جاسم: أفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال (دراسة تاريخية)، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 1424هـ/ 2003م) ص 34.

(4) سعد غيث، المرجع السابق، ص 32.

(5) حسن، يوسف فضل: دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب، دار جامعة الخرطوم للنشر (الخرطوم، 1410هـ/ 1989م) 2/ 147.

(6) التونسي، محمد بن عمر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: خليل عساكر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر (القاهرة، 1385هـ/ 1965م) ص 132.

وقد حافظت منطقة جنوب الصحراء على صفاتها الزنجية من بشرة سوداء، وشعر مجعّد، ويقسّم المختصون العناصر الجنسية لجنوب الصحراء إلى:

1- الأقزام.
2- البوشمن والهوتنتوت.
3- الزنوج (السودانيون والبانتو).
4- أنصاف الحاميين (النيليون [ الحاميون ]).
5- القوقازيون.

**وسأحاول دراسة كل جنس من هذه الأجناس[1].**

**1- الأقزام:**

أو الزنوج الصغار ويطلق عليهم اسم البيغمى أو نجرللو، وهم من أقدم الشعوب التي تستقر في الغابات الاستوائية من هذه القارة، وهم مجموعة من القبائل المتجانسة في شكلها وصفاتها العامة وفي أسلوب حياتها[2].

وكان أقدم ذكر للأقزام في وثائق مصرية ترجع إلى الدولة القديمة وعلى وجه الخصوص في أيام ملك من ملوك الأسرة الخامسة الذي أرسل في طلب قزم[3]، وهناك خبر آخر من هيرودوت في القرن الخامس ق.م وهو الذي أطلق عليهم باليونانية لفظ Pygmaioi ومعناها الرجل الذي لا يزيد طوله ما بين كوع الشخص العادي وأصابع قدميه، وظل الأوروبيون يحتفظون بهذا الاسم[4].

والأقزام من أقدم شعوب القارة ويتوزعون في نطاق ضيق يتمثل في نطاق الغابات الاستوائية، بعد أن كانت أوطانهم أكثر اتساعاً، حيث تمتد من سواحل غانا والكامرون

(1) ظاهر محمد، المرجع السابق، ص 13.
(2) إبراهيم سعيد، المرجع السابق، ص 59.
(3) اليحكي، فريد: أفريقيا فيما قبل التاريخ (طرابلس، 1401هـ/ 1980م) ص 100.
(4) المرجع نفسه، ص 100.

وحوض الكونغو حتى هضبة البحيرات مروراً ببحر الغزال [1]، وللأقزام خصائص تميزهم عن باقي سكان القارة، فهم قصار القامة ومتوسط طولهم يصل إلى 135سم وأجسامهم غير متناسقة، فالأذرع طويلة لا تتناسب مع حجم القامة، مع بشرة صفراء رمادية مغطاة بشعر كثيف، والجبهة بارزة مع رأس كبير ووجه بيضاوي الشكل مع شفتين متوسطتين السمك، ولكنهما غير مقلوبتين، وأنف مسطح، والعيون واسعة جاحظة وشعر الرأس مفلفل [2].

ويعيش الأقزام في جماعات صغيرة العدد لا تزيد عن خمسين إلى مائة شخص، ولا تزيد مساكن الجماعة على خمسين كوخاً تقام كلها متلاصقة وسط الغابة [3].

أما حياتهم فهي قائمة على الصيد والجمع والالتقاط لسدّ احتياجاتهم اليومية[4]، ويقومون بجمع العسل من قمم الأشجار، وأسلحتهم بسيطة تتمثل في القوس والسهم المسموم، ويتعامل الأقزام مع الزنوج فيتبادلون معهم الصيد والمحصول الزراعي فيما يعرف باسم التجارة[5] الصامتة [6].

والأقزام اثنا عشر قبيلة رئيسية، تعيش كلها داخل النطاق الغابي الاستوائي في أفريقيا الوسطى، وتؤلف هذه القبائل ثلاث مجموعات متميزة وهي: المجموعة الشرقية التي تعيش في شمال شرق الكونغو وجنوب غرب أوغندا، والمجموعة الوسطى التي تعيش فيما بين نهري كساي ونهر الكونغو، والمجموعة الغربية في جنوب الكامرون. وكان الأقزام يتكلمون لغة الزنوج المجاورين لهم وخاصة لغة البانتو [7].

---

(1) عبدالقادر المحيشي: جغرافية القارة الأفريقية وجزرها، ص 108.

(2) إبراهيم، محمد عبد الفتاح: أفريقية – الأرض والناس – ، مكتبة الإنجلو المصرية (القاهرة، 1384هـ/ 1964م) ص 42 – 43.

(3) محمد رياض: أفريقية دراسة لمقومات القارة، ص 200.

(4) حمدان، جمال: إفريقيا الجديدة – دراسة في الجغرافيا السياسية، دار النهضة المصرية (القاهرة، 1385هـ/ 1966م) ص 249.

(5) ينظر صفحة 56 للتفاصيل عن التجارة الصامتة.

(6) جودة، جودة حسنين: جغرافية أفريقيا الإقليمية، دار النهضة العربية (بيروت، 1402هـ/ 1981م) ص 118.

(7) الزوكة، محمد خميس: جغرافية شرق أفريقيا، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، دون تاريخ) ص 101.

## 2- البوشمن والهوتنتوت:

وهم أيضاً من الشعوب القديمة في القارة الأفريقية، ويستقرون الآن في وسط وشمال صحراء كلهارى وأنجولا [1].

والبوشمن كالأقزام قصار القامة لا يزيد طولهم على 150سم والجسد نحيف والبشرة صفراء إلى بنية، والشعر مفلفل، وهم يعيشون على القنص بالسهام وهم لا يختلطون بجيرانهم كالأقزام، بل أنهم مستقلون في مواردهم الغذائية، وأهم مظاهر تميّزهم الحضاري هي الدرجة العالية من الفن الذي وصلوا إليه في النقش على الصخر [2].

أما الهوتنتوت، فهم جماعة يرتبط اسمهم دائماً باسم البوشمن، ويشبهونهم شكلاً وثقافة، وقد تأثروا كثيراً بالبانتو وينتشرون في أفريقيا الجنوبية شمال نهر الأورنج، ويشتغلون بالرعي وتربية الماشية والأغنام، ويمارسون بعض الصناعات الحديدية من أسلحة وأدوات بسيطة، وهم أطول قامة من البوشمن [3].

**وينقسم البوشمن إلى أربع مجموعات:**

- المجموعة الشمالية: حول حوض نهر أوكوانجو وبحيرة نجامى وبذلك تمتد أوطانهم في أنجولا وزامبيا وأفريقيا الجنوبية الغربية وأهم قبائلهم (أوين وكونج).
- المجموعة الوسطى: وتعيش جنوب دلتا أوكوانجو الداخلية وأهم قبائلها (نارون).
- المجموعة الجنوبية: وتمتد أوطانهم من وسط بتسوانا لاند إلى أواسط نهر الأورنج وأهم قبائلهم (نوين وتوا).
- المجموعة الرابعة: فهي تحتل الصحراء الساحلية من مصب نهر الأورنج شمالاً حتى ميناء لودرتيز [4].

---

(1) ظاهر محمد: أفريقيا ما وراء الصحراء، ص 14.

(2) الحريري، محمد مرسي: جغرافية القارة الأفريقية، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1411هـ/ 1990م) ص 218.

(3) محمد، محمد عوض: الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والنشر (القاهرة، 1402هـ/ 1981م) ط2، ص 62.

(4) العمري، أحمد سويلم: الأفريقيون والعرب، مكتبة الأنجلو المصرية(القاهرة، 1378هـ/ 1967م) ص 24.

أما الهوتنتوت فينقسمون إلى أربع مجموعات هي: الناما وكورانا والهوتنتوت الشرقية، وهوتنتوت الكيب، ولم يبق منهم إلا مجموعة تعيش في أفريقيا الجنوبية الغربية [1].

وتتمتع المرأة بالرعاية والاحترام، ويظهر ذلك في احترام الرجل لحماته، بحيث يتجنب النظر إليها، وكذلك في احترام الأخ لأخته، وقد تتولى الأخت الكبيرة عقاب أخيها إذا ارتكب أي خطأ [2].

أما لغة الهوتنتوت فهي أغنى من لغة البوشمن قليلاً، وورثوا عنهم كثيراً من التهتة، وامتزجت بها اللغات الحامية [3].

### 3- الزنوج:

لسعة انتشار هذا الجنس تم تقسيمه إلى قسمين رئيسيين هما: الزنوج السودانيون، والبانتو، وبصورة عامة يسود الجنس الزنجي جنوب الصحراء الكبرى والقرن الأفريقي، ويشكل الزنوج 70٪ من جملة سكان القارة [4].

#### أ- الزنوج السودانيون:

وينتشرون في المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد شرقاً حتى السنغال غرباً، ومصب نهر النيجر وسواحل غانا في الجنوب، ويُدعون أيضاً باسم (الزنوج النقاة) و (السودانيون) نسبة إلى السودان الفرنسي وليس إلى دولة السودان، سمّوا كذلك بالنقاة لأنهم أقل الزنوج تأثراً بالأقوام الشمالية (الحاميون) [5] كذلك أُطلق عليهم أيضاً اسم (الزنوج الحقيقيون) [6].

---

(1) أحمد العمري، المرجع السابق، ص 24.

(2) محمد عوض، المرجع السابق، ص 40.

(3) سليجمان: السلالات البشرية في أفريقيا، ترجمة: يوسف خليل، مكتبة العالم العربي (القاهرة، 1379هـ/ 1959م) ص 31.

(4) ظاهر محمد، المرجع السابق، ص 14.

(5) محمد عوض، المرجع السابق، ص 33.

(6) إبراهيم سعيد: أفريقيا جنوب الصحراء، ص 63.

ويتصف الزنوج السودانيون بالبشرة السوداء وبطول القامة وبروز الفك وغلظة الشفاه والشعر المفلفل، ويرتبطون مع بعضهم البعض بمميزات اجتماعية وثقافية مشتركة، كالبيوت ذات الأسقف الهرمية [1].

وهذه الشعوب هي التي أنشأت ممالك قوية واسعة الأرجاء مثل مملكة الأشانتى، وهي في الجنوب من غانا، واليوربا في جنوب نيجيريا وهي دولة قوية تشتهر بالمهارة، ومملكة الولوف، وهي في المنطقة الساحلية الممتدة بين نهري السنغال وغامبيا [2].

وينقسم الزنوج السودانيون إلى عدد كبير من القبائل، أبرزها قبيلة (الولوف) المتاخمة لنهر السنغال، وقبيلة (التوكولور والماندي) إلى الشرق منهم، و(السنغاي والموسي واليوروبا والإيبو والهوسا) [3].

**ب – البانتو:**

أدت الهجرات الأفريقية على امتداد عدة قرون في وسط وشرق إفريقيا من منطقة البحيرات نحو الجنوب الغربي إلى اختلاط ضخم للشعوب الزنجية والتي تعرف باسم الناطقين بالبانتو ومعنى ذلك أنها مجموعة زنجية لغوية واحدة بعكس زنوج غرب إفريقيا الذين تعددت لغاتهم لدرجة كبيرة [4].

وتمتد أوطانهم شمالاً من خليج بيافرا، وتستمر باتجاه شرقي مع تعرجات عديدة إلى الشمال، ثم إلى الجنوب عبر الكونغو وزائير وصولاً إلى منطقة بحيرات أعالي النيل، ويعبر كينيا حتى مصب نهر جوبا على المحيط الهندي، ومن ثم يمتد تواجدهم إلى وسط وجنوب أفريقيا [5].

---

(1) عبدالقادر المحيشي: جغرافية القارة الأفريقية وجزرها، ص 111.

(2) الجوهري، يسري: الإنسان وسلالاته، دار المعارف (الإسكندرية، 1408هـ/ 1987م) ص 191.

(3) زبادية، عبدالقادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر، 1410هـ/ 1989م) ص 11.

(4) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، ص 71.

(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص 96.

**وقد قسم العلماء والباحثون البانتو إلى ثلاث مجموعات:**

أ - قبائل البانتو الجنوبية: وتنتشر في روديسيا وموزمبيق وجنوب إفريقيا وبتسوانا وليسوتو وجنوب غرب أفريقيا.

ب- قبائل البانتو الشرقية: وتستقر في أوغندا ورواندا وبورندى وكينيا وتنزانيا وملاوي وزامبيا.

ج- قبائل البانتو الغربية: ويتمركزون في الكونغو والكاميرون والجابون وأنجولا [1].

ويقدر عدد البانتو بنحو 100 مليون نسمة[2]، ويستقرون في ثلث مساحة أفريقيا، ويتكلمون لهجات متعددة، ويعتمدون في حياتهم على الرعي والزراعة وتربية الحيوانات حسب طبيعة الإقليم الذي يتواجدون على أرضه[3]. وأهم جماعاتهم الباستو والزولو [4].

## 4- النيليون الحاميون:

إلى الشمال من خط البانتو، تعيش أقوام زنجية تأثرت كثيراً عن غيرها بالجنس القوقازي وخاصة بالحاميين، ويظهر ذلك في طول القامة ودقة الأنف والبشرة الفاتحة، وبقى عندهم الشعر المجعد الذي هو من الصفات الأساسية للجنس الزنجي، كما تأثرت لغتهم بلغات الحاميين، حتى أصبح الكثير منهم يتحدثون بالحامية [5].

وقد جرت العادة على تسميتهم بالسلالات النيلية الحامية، أو كما يسميهم البعض أنصاف الحاميين، ويتمركزون في مناطق واسعة من أعالي حوض النيل وهضبة شرق أفريقيا، وتبدأ زيادة الدم الحامي من دائرة العرض السادسة جنوب خط الاستواء وتستمر شمالاً حتى أعالي النيل وبحر الجبل، وينتشر هؤلاء بصورة عامة في الجزء الجنوبي الشرقي من أوغندا، والغربي من كينيا والشمالي من تنجانيقا [6].

---

(1) ظاهر محمد: أفريقيا ما وراء الصحراء، ص 13.

(2) عبدالقادر المحيشي، المرجع السابق، ص 112.

(3) دافدسن، بازال: أفريقيا تحت أضواء جديدة (بيروت، 1385هـ/ 1963م) ص 183.

(4) أحمد إسماعيل: محاضرات في جغرافية أفريقيا، ص 223.

(5) محمد عوض محمد، المرجع السابق، ص 52.

(6) بازال دافدسن، المرجع السابق، ص 183.

ويبلغ تعداد النيليون الحاميون أكثر من ثلاثة ملايين بقليل وأهم قبائلهم: الدنكا – النوير – الشيلوك – الأنواك – الأشولي اللانجو – الليو – بوربلاندا – جولوو (جور) – شيلول ليو في بحر الغزال – الباري – الألور (جوبد هولا) – جوبالوو [1].

## 5- القوقازيون (الحاميون والساميون):

تنتشر هذه السلالات في الأجزاء الشمالية والشرقية من القارة ويقسّمهم المختصون إلى قسمين – الساميين والحاميين، وهذا التقسيم بني على أساس حضاري وليس جنسي، حيث يرى بعض العلماء أن كلاً من اللغتين: السامية والحامية، من أصل واحد [2].

وقد دخل الساميون إفريقيا منذ زمن بعيد عن طريق برزخ السويس وباب المندب، وآخر الجماعات التي دخلت هم العرب بعد الإسلام، وتنتشر هذه السلالة في شمال أفريقيا وشرقها أي نفس المناطق التي ينتشر فيها الحاميون، وقد دخل الساميون القارة على شكل جماعات قبلية، وهي في بعض الحالات تحتفظ بأسمائها القبلية الأولى، كما أن هذه القبائل لا تزال تحتفظ بطابع الحياة التي اعتادت عليها في مواطنها الأولى، وتعتبر البداوة هي السمة المميزة لهذا العنصر السكاني [3].

أما الحاميون فينتشرون في الأجزاء الشمالية والشرقية من القارة[4]، ومنهم المصريون القدماء، والنوبيون الذين يستقرون على ضفاف النيل إلى الجنوب من أسوان ويهتمون بالزراعة، وقد تأثروا بالقبائل العربية التي نزلت أوطانهم، فعرفوا لغتهم واعتنقوا الإسلام، وهناك الصوماليون من قبائل الجلا التي تمارس الزراعة والرعي، وقبائل الباريا والمنداري الذين ينتشرون في جنوب السودان، كذلك يوجد الطوارق، وهم قبائل حامية تعيش على رعي الإبل وينتشرون في الصحراء الكبرى [5].

(1) محمد إبراهيم: أفريقية، ص 68.

(2) ظاهر محمد، المرجع السابق، ص 16.

(3) محمد عوض: الشعوب والسلالات الإفريقية، ص 21 – 22.

(4) البكري: المسالك والممالك، 2/ 163.

(5) محمد عوض محمد، المرجع السابق، ص 26.

ومن الصعب وضع حدود واضحة بين الجماعات السامية والحامية وذلك لأن الحاميين والساميين ينتمون إلى سلالة واحدة وهي سلالة البحر المتوسط وهم يذوبون في بوتقة الإسلام، واللغة العربية هي السائدة [1].

## ثانياً: العلاقات العربية الأفريقية قبل الإسلام:

### 1- العلاقات السياسية:

لم تشكل الصحراء الكبرى منذ القدم عائقاً أمام تواصل الشمال بالجنوب، بل حدثت عدة محاولات لاختراقها، فقد تمكنت مجموعة من شباب النسامونيين (Nasamons) [2] التي كانت تقطن مناطق برقة بليبيا من عبور الصحراء والوصول إلى نهر النيجر [3].

وقد أثبت هيرودوت مسار رحلة هذه المجموعة المدفوعة برغبة المغامرة وحب الاكتشاف، حيث اختار النسامونيون بالقرعة خمسة من شبابهم ارتحلوا في الصحراء في اتجاه الغرب، واجتازوا منطقة صحراوية إلى أن وصلوا إلى سهل يكثر فيه النخيل، فأخذوا في التقاط ثماره، وقد جاءهم رجال من الأقزام ساقوهم أسرى إلى مدينة تقع إلى جوار نهر كبير يجري من الغرب إلى الشرق لعله نهر النيجر [4].

فهذه المغامرة التي اخترقت الصحراء هي أول محاولة للوصول إلى نهر النيجر، وأكدت وجود التواصل بين ليبيا ومناطق ما وراء الصحراء منذ أقدم العصور، فالإنسان في ليبيا منذ القدم لم يتعامل مع الصحراء على أساس أنها عالم مجهول لا يمكن اكتشافه بل إن الآثار

---

(1) ظاهر محمد، المرجع السابق، ص 16.

(2) النسامونيون: مجموعة القبائل التي غطت المناطق الواقعة على ساحل خليج سرت. عبدالعليم، مصطفى كمال: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، كلية الآداب (طرابلس، 1386هـ/ 1966م) ص 66.

(3) يونس، محمد المبروك: تاريخ التطور السياسي للعلاقات الليبية الأفريقية 1952 – 1977م، الشركة العامة للورق والطباعة (الزاوية، 1412هـ/ 1991م) ط2، ص 13.

(4) محمد يونس: دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الأفريقية 1969 - 1977م، الشركة العامة للورق والطباعة (الزاوية، 1415هـ/ 1994م) ص 19.

والنقوش الصخرية تعطي مؤشرات دقيقة على وجود نشاط بشري يدل على أن الصحراء الكبرى كانت أسهل اختراقاً في العصور القديمة [1].

كما أن وجود قبائل الجرامنت بفزان، والتي سيطرت منذ القدم حتى الفتح العربي على طرق التجارة مع شعوب مناطق ما وراء الصحراء، يؤكد وجود علاقات وثيقة بين ليبيا والمناطق الأفريقية، وكانت همزة الوصل بين سواحل البحر الأبيض المتوسط وأرض السودان الغربي، فالنقوش المحفورة على الصخور، وما أورده هيرودوت عن الجرامنت، تؤكد تلك الصلات من خلال طرق العربات التي تجرّها أربعة خيول في وسط الصحراء، والتي كانوا يطاردون بها أهل الكهوف من الأثيوبيين، وهؤلاء القوم الذين كانوا يسكنون جبال تبستى، وهذه إشارة واضحة إلى الصلة والاحتكاك المستمر بين الجرامنت وسكان المناطق الأفريقية فيما وراء الصحراء [2].

كما أن استيراد العاج والجلود من قبل الرومان ومن مناطق فزان يدل على وجود الصلات، لأن منطقة فزان لا تشتهر بهاتين السلعتين، وهو أمر دفع بالدولة الرومانية إلى محاولة السيطرة على هذه التجارة الوافدة من مناطق ما وراء الصحراء، فأرسلت الكثير من الحملات العسكرية من 20ق.م إلى 86م، بهدف إخضاع فزان للحكم الروماني، غير أن قوة الجرامنت المتنامية آنذاك قد حالت دون أن تحقق هذه الحملات العسكرية أهدافها، وظل الجرامنتيون يسيطرون على طرق التجارة بين البحر الأبيض المتوسط والسودان الأوسط [3].

ومثلما كانت الصحراء الكبرى جسراً لتوطيد العلاقات والصلات بين شمال أفريقيا ومناطق ما وراء الصحراء، كان البحر الأحمر عبر فترات التاريخ المختلفة طريقاً مهماً يربط ما بين بلاد شرق أفريقيا وشبه الجزيرة العربية [4].

وكانت الحبشة هي القوة المسيطرة في شرق أفريقيا ومن المعلوم أن بلاد الحبشة أخذت

(1) محمد يونس المبروك: تاريخ التطور السياسي، ص 13.

(2) محمد يونس: دور ليبيا في مسار العلاقات، ص 19.

(3) محمد يونس: تاريخ التطور السياسي، ص 14.

(4) المرجع نفسه، ص 15.

اسمها من قبيلة (حبشت) التي وفدت من جزيرة العرب، كما أن اسم الحبشة في العصور القديمة كان يطلق على المنطقة التي تقطن فيها شعوب القرن الأفريقي بما فيهم العفريون [1] والأرمو والصومال والأريتريون وغيرهم [2].

كما أن اللغة الحبشية القديمة التي تعرف (بالجعز) هي لغة سامية اقترنت بتلك المنطقة وقد يسّر هذا سهولة الملاحة في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر، ووجود الموانئ الطبيعية على ساحله الغربي، وكان ارتياد البحر واحداً من المناشط التي ألفها سكان جنوبي الجزيرة والعفريون على حد سواء [3]، ويعتقد بعض العلماء أن الحبشة كانت في الأصل: جماعات عربية يمنية تقطن الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، شرقي حضرموت، ثم هاجرت غرباً حيث عبرت مضيق باب المندب، وأقامت في المناطق المقابلة لليمن على الساحل المواجه من القارة الأفريقية واستوطنت بها [4].

وقد عبر هؤلاء الجنوبيون تدريجياً في زمن قديم لا نستطيع تحديده على وجه الدقة، ومن المرجح أنه حدث قبيل الميلاد وقد تمكن هؤلاء العرب من تأسيس مستعمرة تجارية على الشاطئ الأريتري، ولم يلبثوا أن مدوا نفوذهم نحو الهضبة الإثيوبية، على حساب شعوب الكوش، ثم بمضي الزمن تفرق هؤلاء المهاجرون [5].

وعندما حل القرن الأول الميلادي نجح هؤلاء المهاجرون في تأسيس مملكة أكسوم،

---

(1) العفر: كلمة عربية اشتقت من (العفار أو الغبار) وتقع أرض العفر في القرن الأفريقي على الضفة الغربية للبحر الأحمر، ومعظم أرضهم شبه صحراوية، ويطلق عليها في بعض الأحيان صحراء الدناكل، وسبب إطلاق اسم عفر، وجود ريح شديدة تهب لشهور عديدة دون توقف، وهذه الريح تحمل معها أطناناً من التراب ويعفر بها كل شيء في المنطقة ولذلك أطلق عليهم العرب اسم العفرة. أبوبكر، محمد عثمان: المثلث العفري في القرن الأفريقي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 1417هـ/ 1996م) ص 2، 12.

(2) بولم، دينز: الحضارات الإفريقية، ترجمة: نسيم نصر، منشورات عويدات (بيروت، 1409هـ/ 1988م) ط3، ص 58.

(3) محمد أبوبكر، المرجع السابق، ص 56 - 57.

(4) منيسي، سامية عبد العزي: إسلام نجاشي الحبشة ودوره في صدر الدعوة، دار الفكر العربي (القاهرة، 1421هـ/ 2001م) ص 14.

(5) المرجع السابق ، ص 14.

ومدينة أكسوم هي عاصمة المملكة الحبشية، وتعتبر المركز الرئيسي للتجارة مع اليونان والمصريين القدماء [1]، ثم ازدهرت مملكة أكسوم وبدأت تمد نفوذها على البلاد المجاورة شمالاً وشرقاً في القرن الثالث الميلادي [2].

وكانت مملكة الحبشة تشتمل على خليط من الحاميين والساميين، وكان لكل قسم منها (تيجرى – أمهرا – جوجام – جوا) مَلك خاص، ولها استقلال ذاتي، ومَلك أكسوم كان يدعى مَلك الملوك [3].

وتمتد علاقة العرب ببلاد الحبشة إلى زمن طويل، حيث شن الأحباش حملة عسكرية على الجزيرة العربية ما بين سنتي (277–290م) ويصف نقش أدولس هذه الحملة، وكيف أن ملك أكسوم شن الحرب حتى بلاد السبئيين، واستطاع السيطرة عليها، ويؤكد هذا انقطاع سلسلة النقوش اليمنية الملكية من سنة 300 – 378م [4].

وهذه الغزوة الأولى لليمن لا ترجع إلى عوامل دينية، إذ لم يكن ملك الحبشة قد نبذ الوثنية واعتنق المسيحية، ولم يرد في الأخبار أن الملك (الأعميدا) الذي احتل اليمن كان مسيحياً، ويعتقد أن غزو الأحباش الأول لليمن كان ردّ فعل لسيطرة الحميريين في القرن الأول الميلادي على ساحل أزانيا، أو لتأديب الحميريين على تجرّئهم مهاجمة التجارة الحبشية [5].

وبعد أن اعتنق الملك (عزانا) المسيحية عن طريق المبشِّرَين فرومنتوس وأخيه أيديسيوس، وذلك حوالي عام 350م أصبحت المسيحية ديناً رسمياً للمملكة[6]. فقامت بعض الثورات

(1) عريبي، علي الطاهر: مملكة أكسوم وعلاقتها بالعرب قبل الإسلام، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثاني يوليو 1989م، مركز البحوث (سبها، 1410هـ/ 1989م) ص 61.

(2) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 14.

(3) غيث، فتحي: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، النهضة المصرية (القاهرة، بدون تاريخ) ص 21–22.

(4) الطناشي، خديجة: العلاقات السياسية بين القوى الإسلامية والمسيحية في الحبشة، منشورات مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 1417هـ/ 1996م) ص 54.

(5) سالم، السيد عبدالعزيز: تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة(الإسكندرية، بدون تاريخ) 1/ 129–130.

(6) المحمد الأحمر: أفريقيا والعرب، ص 48.

في مناطق من مملكته، انتهر اليمنيون الفرصة لانشغال الملك بإخماد هذه الثورات، فتمكن ملكي كرب يهمن من استرداد البلاد، وطرد الأحباش منها فيما بين عامي 370-378م [1].

وكان تحوّل ملوك أكسوم إلى المسيحية إيذاناً بتقارب هذه المملكة مع بيزنطة حامية نصارى الشرق [2].

**أصحاب الأخدود والغزو الحبشي الثاني لليمن:**

ظلت اليمن في قبضة الحميريين إلى أن غزاها الأحباش للمرة الأخيرة عام 525م [3]، حينما قام (ذو نواس) اليهودي المتعصب وتَسمَّى (بيوسف أو دمُيانوس) بحرق أهل نجران الذين كانوا على الدين المسيحي بعد أن خيّرهم بين اليهودية والقتل، فاختاروا القتل، فخطّ لهم أخدودا - أي حفر لهم حفرة مستطيلة في الأرض كالخندق والجدول ونحوه [4] - وأجّجَ فيه النار، فحرق من حرق بالنار، وقتل من قتل بالسيفِ ومثّل بهم، حتى قتل منهم نحواً من عشرين ألفاً من بينهم امام أهل نجران (عبدالله بن الثامر)[5].

وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ❹ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ❺ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ❻ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ❼ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ❽ ﴾ [6].

ولم ينج من أهل نجران إلا رجل واحد، يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه حتى أتى قيصر الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما فعل ذو نواس، وذلك لأن قيصر الروم نصراني على دينهم، فقال له

(1) السيد سالم، المرجع السابق، ص 48.

(2) المرجع نفسه، ص 124.

(3) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 21.

(4) ابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: جمال ثابت ومحمد محمود، سيد إبراهيم، دار الحديث (القاهرة، 1419هـ/ 1998م) ط2، 1/ 48.

(5) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 42.

(6) سورة البروج: الآيات (4 - 8).

قيصر: «بعدت بلادك منا، ولكن سأكتب إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك»[1].

فكتب قيصر إلى ملك الحبشة يأمره بنصرهِ والطلب بثأره فقدم دوس على ملك الحبشة بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة بقيادة (أرياط) ومعه أبرهة بن الصباح، فأقبل بفيله وأمره الملك أن يقتل ثلث الرجال، ويخرب ثلث الديار ويبعث إليه ابن الصباح بثلث النساء، ففعل ذلك بعد أن انتصر على ذي نواس بعد قتال شديد بينه وبين أهل اليمن [2].

أما ذو نواس فركض بفرسه في البحر، فدخل فيه وغرق وكان آخر العهد به، ودخل أرياط اليمن وملكها وبدأ بذلك حكم الحبش لليمن [3].

أقام أرياط بأرض اليمن سنين يحكمها من قبل الحبشة، بلغت عشرين سنة، لا ينازعه في حكمها أحد، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرّقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلمّا تقارب الناس أرسل أبرهة إليه: «إنك لا تضع بأن تلقي الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئاً فابرز إليَّ وأبرز إليك، فأينا أصاب انصرف إلى جنده»، فأرسل إليه أرياط، أنصفت [4]، فخرج إليه أبرهة وكان رجلاً قصيراً لحيماً، وكان ذا دين في النصرانية، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً طويلاً وفي يده حربة وخلف أبرهة غلام له يقال له عقوده يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة وضرب بها أبرهة ضربة وقعت على جبهته، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته، فسمّي أبرهة الأشرم، فقام غلامه على أرياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند أرياط إلى أبرهة واجتمعت عليه الحبشة باليمن [5].

ولما علم ملك الحبشة ذلك غضب غضباً شديداً وقال: «عدى على أميري فقتله بغير

(1) ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل: البداية والنهاية، تحقيق: أحمد بن شعبان بن أحمد، محمد بن عيادى بن عبدالحليم، مكتبة الصفا (القاهرة، 1423هـ/ 2003م) 2/ 144.

(2) سامية منيسي: إسلام نجاشي الحبشة، ص 22.

(3) المسعودي: مروج الذهب، 2/ 78.

(4) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 53.

(5) المصدر نفسه، 1/ 54.

أمري» وحلف بالمسيح أن لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته ويريق دمه، فلما بلغ ذلك أبرهة جزّ ناصيته وجعلها في حق من العاج، وجعل من دمه في قارورة وملأ جراباً من تراب اليمن وأرسله إلى النجاشي مع هدايا كثيرة [1].

وكتب إليه يعترف بعبوديته له، ويحلف له على النصرانية أنه على طاعته وولائه، وأنه قد أبر يمين مليكه بإرساله ناصيته، ودمه وتراب بلاده «... وَلْيُطْفِئ الملك عني غضبه، فقد أبررت يمينه وهو على سرير ملكه» فأعجب ملك الحبشة به وصفح عنه [2].

**- توجه أبرهة الأشرم بالفيل لهدم الكعبة ونهاية الاحتلال الحبشي**

بعد أن استقر الحكم في اليمن لأبرهة أراد أن يصرف العرب عن الحج إلى بيت الله الحرام بمكة إلى الدين المسيحي، فبنى بصنعاء كنيسة، بناها بالرخام الأبيض والأحمر والأسود والأصفر، وحلاّها بالذهب والفضة، ورصَّعَهَا بالجواهر وجعل أبوابها من صفائح الذهب، وسمّاها القليس، وأرسل إلى النجاشي [3] يخطره بأمرها، وبأنه لن ينتهي حتى يصرف إليها حجاج العرب وقال: «لست بمنتهي حتى أصرف إليها حجّ العرب» [4].

فلما علم العرب بذلك خرج رجل منهم من بني كنانة ودخل القليس وأحدث فيها ثم غادرها إلى أرضه، ولما علم أبرهة غضب غضباً شديداً، وأقسم أن يسير إلى البيت ويهدّمه، ثم أمر جنده من الحبشة فتجهزوا وساروا معه بالفيل لهدم الكعبة [5].

ثم نزل أبرهة المغمس [6] وأرسل رجلاً إلى مكة من الحبش يقال له الأسود بن مقصود

---

(1) المسعودي، المصدر السابق، 2/ 78.

(2) المصدر نفسه، 2/ 78.

(3) النجاشي: هو اسم لكل من ملك الحبشة كما يسمى كل خليفة للمسلمين أمير المؤمنين، ومن ملك الروم قيصر، والترك خاقان والفرس كسرى، والقبط فرعون، يُنظر: الحافظ السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن: رفع شأن الحبشان، تحقيق: محمد عبد الوهاب فضل، مطبعة كويك حمادة (القاهرة، 1411هـ/ 1991م) ص 222.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، 2/ 117.

(5) ابن كثير، المصدر السابق، 2/ 145.

(6) المغمس: موضع قريب من مكة بطريق الطائف. طبارة، عفيف عبدالفتاح: روح القرآن، تفسير جزء عمّ، جمعية الدعوة الإسلامية (طرابلس، بدون تاريخ) ص 175.

على خيل فاستولى على أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هشام سيد قريش، ثم بعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة يعلمهم أنه لم يحضر لقتالهم، وإنما لهدم البيت، وأمره أن يقابل سيد قريش ويبلغه ذلك، فإن لم يرد حربه فليأته به[1]، فلما قابله، قال له عبدالمطلب: «والله ما نريد حربَه ومالنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم (عليه السلام)، فإن يُمنعه منه فهو بيته وَحَرَمُهُ، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه»[2].

وانطلق عبدالمطلب فدخل على أبرهة وقدّمه أنيس سائس الفيل إلى أبرهة قائلاً: «أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذنك، وهو صاحب عين مكة فأذن له عليك فيكلمك في حاجته، فأذن له أبرهة، ثم أكرمه وأعظمه لوسامته وجماله وعظمته وجلس معه على البساط، وطلب منه المائتي بعير التي أصابها جيشه منه، فردّها عليه، ثم عاد عبدالمطلب وتعلّق بحلق باب الكعبة مع نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنوده»[3]، وأنشد عبد المطلب وهو آخِذٌ بحلقة باب الكعبة:

يا رب لا أرجو لهم سواكا ❖ يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا ❖ امنعهم أن يَخْرِبوا قراكا[4].

وانطلقت قريش إلى شعف الجبال محتمين فيها من أبرهة وجنده، وفي الصباح تهيأ أبرهة بجيشه لدخول مكة، إلا أن فيله (محمود) أبى التوجّه إلى مكة رغم ما فعلوه معه فكان يبرك إذا وُجِّه لمكة بينما يهرول إذا وجّهٍ إلى مكان آخر[5].

فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها ؛ حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس، لا تصيب

(1) سامية منسيي، المرجع السابق، ص 24.
(2) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 58 – 59.
(3) المصدر نفسه، 1/ 59.
(4) عفيف طبارة، المرجع السابق، ص 176.
(5) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 24.

منهم أحداً إلا هلك [1]، وأصيب أبرهة في جسده، وأنامله تسقط أنملة أنملة بقيح ودم، حتى قدموا صنعاء فمات بها [2].

وقال تعالى في هذا الحدث العظيم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ❶ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ❷ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ❸ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ❹ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ❺ ﴾ [3].

يقول البيهقي: «فبقي عبدالمطلب ثابتاً في الحرم حتى أهلك الله تعالى الفيل وأصحابه، فرجعت قريش وقد عظم فيهم لصبره وتعظيمه محارم الله عز وجل» [4].

ولم تُصِب الحجارة كل جيش أبرهة، فخرج الباقون هاربين يتدبّرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة:

أيــن المَفرُّ والإلـه الطَّالِبُ ❖ والأَشْرَمُ المَغْلُوبُ لَيْسَ الغالِبُ [5]

وقال أيضاً:

حَمِدتُ الله إذ أبصرتُ طيراً ❖ وخفـــت حِجَارة تُلقَى عَلينَا
وكل القوم يسأل عن نفيل ❖ كــأن عـليّ للحُبْشـــانِ ديناً [6]

وخلف أبرهة في حكم اليمن ابناه يكسوم ثم مسروق على التوالي، إلاّ أنهما أساءا السيرة، فاستنجد سيف بن ذي يزن بقيصر الروم، فرفض لأن ملوك الحبشة نصارى مثله وهم يهود، فاستنجد بكسرى أنو شروان فوعده بالنصر، إلا أنه انشغل بحرب الروم، فلما مات سيف بن ذي يزن استنجد ابنه معد يكرب بكسرى فأرسل قائده وهرز والتقى جيشه بحمير وكهلان

(1) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 44.
(2) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 61.
(3) سورة الفيل: الآيات 1 – 5.
(4) البيهقي: دلائل النبوة، دار الكتب العلمية (بيروت، 1405هـ/ 1985م) 1/ 85.
(5) ابن هشام: السيرة النبوية، 1/ 61.
(6) المصدر نفسه، 1/ 61 – 62.

وسائر سكان اليمن فانتصروا على الحبشة وقتل مسروق، وتولى معد يكرب الحكم باليمن وكان آخر ملوك اليمن من قحطان [1]، وبتدخل الفرس عاد الأحباش إلى بلادهم في عام 590م وكانت تلك نهاية السيطرة الحبشية على بلاد العرب [2].

## 2 – العلاقات التجارية:

تعتبر ليبيا البوابة الإفريقية تجاه أوروبا من خلال البحر المتوسط ومثلث مراكز التجمع في الأراضي الليبية، من موانئ وواحات الصحراء – محطات تجمع للقوافل المتحركة بين مناطق المغرب العربي والدول الإفريقية لتبادل البضائع [3]، وبحكم هذا الموقع شكلت ليبيا حلقة الوصل والطريق التجاري بين وسط القارة وجنوبها مع أوروبا في الشمال [4].

كما كان سكان المنطقة يتمتعون بمستوى عالٍ من النضج حيث أرسلوا مجموعة من الشبان النسامونيين من أبناء الرؤساء في سرت لاختراق الصحراء وصولاً إلى بلاد السودان كما أشرنا لذلك في العلاقات السياسية، وهي أول مجموعة أشارت إليها المصادر التاريخية التي وصلت إلى هذه البلاد [5]، وهناك ما يشير إلى أن قبائل الجرامنت بفزان، كانت قد قامت بدور فعال في إحياء الصلات التجارية المتينة بين موانئ البحر الأبيض المتوسط وأراضي السودان الغربي في القرن الخامس ق.م [6].

كما كان للفينيقيين في القرن الخامس قبل الميلاد دور كبير في العلاقات التجارية مع الأفارقة جنوب الصحراء، حيث أسسوا مستعمرات تجارية على الساحل الغربي لأفريقيا،

---

(1) ابن هشام، المصدر السابق، 1/ 70 – 71، كذلك ابن كثير، المصدر السابق، 2/ 151 – 152.

(2) فتحي غيث: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، ص 46.

(3) الفيتوري، أحمد سعيد: ليبيا وتجارة القوافل، الإدارة العامة للآثار (طرابلس، 1392هـ/ 1972م) ص 8.

(4) ظاهر محمد: العلاقات الليبية الأفريقية 1969 – 2000م، مجلة كلية الدعوة الإسلامية العدد 20 لسنة 2003 (طرابلس 1424هـ/ 2003م) ص 152.

(5) بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، ترجمة: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، جامعة قاريونس (بنغازي، 1410هـ/ 1988م) ص 47.

(6) ظاهر محمد: العلاقات الليبية الأفريقية، ص 152.

وهم الذين وصفهم هيرودوت بأصحاب التجارة الخرساء أو التجارة الصامتة مع الأفارقة [1].

وقد جاء في معجم البلدان وصف دقيق للتجارة الخرساء حيث يذكر ياقوت أن التجار من بلاد لمتونة عندما يصلون إلى الموضع الذي يحجر بينهم وبين أصحاب بلاد السودان، يضربون طبولاً معهم كبيرة تسمع في الأفق، فإذا علم التاجر أنهم سمعوا الطبل أخرجوا ما صحبهم من البضائع، ووضع كل تاجر ما يخصُّه كل صنف على جهة، ويذهبون عن الموضع، فيأتي السودان ومعهم التبر، فيضعون إلى جانب كل صنف منها مقداراً من التبر وينصرفون ثم يأتي التاجر فيأخذ ما وجد بجنب بضاعته من التبر ويتركون البضائع وينصرفون بعد أن يضربوا طبولهم [2].

وقد كان لقرطاج دور هام في الحركة التجارية بين سواحل الشمال الإفريقي، ومناطق ما وراء الصحراء الأفريقية، حيث استمدت أهميتها وازدهارها من خلال تلك العلاقات التجارية الوطيدة، وظلت التجارة مزدهرة بين سواحل الشمال الأفريقي ومناطق ما وراء الصحراء حتى فترة انهيار روما، فتدهورت التجارة بعدها على الرغم من محاولات الحكم البيزنطي الحؤول دون ذلك [3].

أما بالنسبة للساحل الشرقي، فالصلة قديمة وعريقة وتعود إلى ما قبل الميلاد، حيث يشير الأثريون إلى علاقة شعوب بلاد الرافدين بالسواحل الشرقية لأفريقيا، حيث تم العثور على نقوش سومرية وبابلية ترجع إلى عهد سرجون الأكدي الذي حكم بلاد وادي الرافدين من عام 2350-2284ق.م [4].

كذلك قامت علاقات تجارية بين مصر والبلدان الواقعة على حوض النيل إلى الصومال

(1) زيربو، جوزيف كي: تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة: يوسف شلب الشام، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1415هـ/ 1994م) ص 135.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2/ 12-13.

(3) محمد سعودي: قضايا أفريقية، ص 82.

(4) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقي عبر التاريخ ودور ليبيا في إدامته، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 18 لسنة 2001م (طرابلس، 1422هـ/ 2001م) ص 28.

وشرق أفريقيا وغربها ومنها في عهد الملك ساحورع، وهو أول ملك أثبتت آثاره أنه مؤسس المواصلات البحرية مع الصومال [1].

لقد عرف العرب أفريقيا الشرقية واندمجوا مع سكانها الأصليين، ومما حفز على ذلك التبادل التجاري، وتصريف منتجات أفريقيا الشرقية، وربطها بأهم مصادر الإنتاج العالمي في الشرق الأقصى وبلاد البحر المتوسط، وقد ساعد على ذلك عوامل الجوار والتوجيه البحري والتجاري، وبمعنى آخر المواجهة المكانية للجزيرة العربية أمام أفريقيا بالإضافة إلى الظروف الجغرافية والمناخية السائدة [2].

إن أقدم المصادر تتحدّث عن حالة العرب في سواحل شرق أفريقيا، وهو كتاب وضعه أحد الملاحين الإغريق، ويعرف باسم الدليل الملاحي للبحر الأريتري، والبحر الأريتري كان يطلق على الجزء الغربي من المحيط الهندي، وعلى وجه التحديد الجزء الملامس لسواحل شرق أفريقيا، حيث يصف هذا الكتاب حالة العرب وتجارتهم في المنطقة، فهو يعجب في فقرات عديدة من كثرة عدد السفن العربية، وعن اختلاط العرب وتزواجهم من القبائل الأفريقية، ويعتبر هذا الكتاب أول مصدر أكد العلاقات التي كانت قائمة بين العرب من جنوب الجزيرة العربية والساحل الشرقي لأفريقيا [3].

كما نجد المؤرخ الروماني بلينيوس 70م، يشير إلى أن التبابعة ملوك اليمن كانوا على دراية بمناطق كبيرة من الساحل الشرقي لأفريقيا وجزرها، وقد احتكروا تجارة بعض الأصناف وحرّموا على العامة الإتجار بها، كالطيوب والرقيق لكي تبقى حكراً عليهم [4].

وقد حدث تبادل تجاري عن طريق اليمن وغيرها، حيث تجلب مصر والشام العاج

(1) ظاهر محمد: أفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات (القاهرة، 1424هـ/ 2003م) ص 68.

(2) علي عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، مجلة الدراسات الأفريقية، العدد الثاني يوليو سنة 1989م، مركز البحوث (سبها، 1410هـ/ 1989م) ص 62.

(3) قاسم، جمال زكريا: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، 1395هـ/ 1975م) ص 52-53.

(4) علي عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 63.

والذهب من إثيوبيا، وقد اشتغلت دول العرب القديمة مثل تدمر ومعين وسبأ في التجارة، ومارس اليهود تجارة القوافل حتى أصبحت يثرب تنافس مكة في الثراء، وكانت مفاتيح التجارة في أيدي اليمنيين حتى القرن السادس قبل الميلاد، حيث نافسهم الرومان في البحر الأحمر مما أدى إلى سقوط سبأ، ثم قام الحجازيون بعد السبئيين بنقل التجارة من وإلى الجزيرة العربية ونشأ في مكة سوق خاص لبيع العبيد الذين كانوا يُجلَبون من الحبشة واليمن [1].

ثم ظهرت قدرات قريش التجارية ونجحت في السيطرة على الشريان التجاري إلى بلاد الهند، واحتكرت تجارة الهند بفضل زعيمها هاشم بن عبد مناف، الذي سن رحلتي الشتاء والصيف، فرحلة الشتاء كانت إلى بلاد الشام، وأما رحلة الصيف فكانت إلى الحبشة، وقد أخذ هاشم الإيلاف (أي العهد) من قيصر الروم لحفظ تجارة العرب من قريش، كما أخذ أخوه عبد شمس العهد من صاحب الحبشة، حيث كانت تجارته هناك، بينما أخذ عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف العهد من ملوك اليمن، أما نوفل بن عبدالمطلب، فقد أخذ العهد من ملوك العراق، فألفوا الرحلتين في الشتاء والصيف إلى اليمن والحبشة والعراق [2].

وقد بلغت رحلات قريش التجارية من الأهمية إلى أن ورد ذكرها في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ لِإِيلَفِ قُرَيْشٍ ❶ إِيلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ ❷ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ❸ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ❹ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ❺ ﴾ [3].

وكانت مكة على صلة وثيقة ببلاد الحبشة، والدليل على ذلك وجود طائفة من الصناع الأحابيش أو عبدان أهل مكة أو سودان مكة، وكان ضمن تجارة العرب من الصومال الأرائك والأسرّة المصنوعة من خشب الصومال، كما انتقلت منتجات أفريقيا الشرقية من العطور وخشب الأبنوس وريش النعام والأدم واللبان والمر والأحجار الكريمة والجلود عن طريق العرب إلى القسطنطينية [4].

وكان اتصال تجار مكة بالحبشة والصومال يتم عن طريق البحر الأحمر، وكان لمكة ميناء

(1) حسن، علي إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، بدون تاريخ) ص 495 – 496.

(2) سامية منيسي: إسلام نجاشي الحبشة، ص 32.

(3) سورة قريش: الآيات (1 – 5).

(4) سامية منيسي، المرجع السابق، ص 31.

على هذا البحر هو ميناء الشعيبة، يستخدمه تجار مكة على الموانئ القريبة منه للاتصال بالحبشة والصومال، وكانت قوافل قريش أشبه بحملات تكون بالآلاف من الإبل التي يقوم على حمايتها جيش خاص سمي بالأحابيش قد يكونون من العرب أو السودان [1].

والجدير بالذكر أن العرب اكتفوا في الفترة السابقة لظهور الإسلام، بالاستقرار المؤقت على الساحل، ولم يحاولوا التوغل في الداخل مكتفين بإنشاء المراكز التجارية لتصدير تراب الذهب والعاج، والرقيق الذين كانوا يحملونه إلى الدولتين الفارسية والرومانية واللتان كانتا تلحان في طلبهم [2]، وتعاونت القبائل الأفريقية مع العرب في هذه التجارة حيث كان الرؤساء وزعماء القبائل يأتون إلى الساحل بالذهب والعاج والرقيق فيقايضون التجار العرب بما يحملونه، وكانت البضائع الأفريقية غالباً ما تستبقى في المراكز التجارية التي أقامها التجار العرب على الساحل إلى أن يحين موسم الرياح حيث يتم نقلها إلى الخليج العربي، وسواحل الجزيرة العربية في رحلة العودة، وكان العرب يقايضون على ما يأخذونه بالخرز الذي كانوا يحصلون عليه من الهند [3].

### 3- الهجرات العربية لأفريقيا قبل الإسلام:

قبل الحديث عن استقرار العرب في أفريقيا قبل الإسلام لابد من الإشارة إلى العوامل التي ساعدت على الاتصال العربي الأفريقي، ومن أبرز هذه العوامل، عامل الموقع الذي شجع على الهجرة، فالجزيرة العربية بموقعها المواجه لأفريقيا كان ذا تأثير على الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا وأدى إلى دخول العرب على طول جبهة طويلة تمتد من برزخ السويس إلى موزمبيق ومدغشقر [4].

ولم يكن عامل الموقع وحده هو السبب في قيام العلاقات بشرق أفريقيا، بل ساهم في

---

(1) فتحي غيث، المرجع السابق، ص 51.

(2) جمال قاسم، المرجع السابق، ص 53.

(3) المرجع نفسه، ص 53 - 54.

(4) عبدالرسول، كوثر: دراسات في الهجرة الحديثة إلى أفريقيا – العرب في شرق أفريقيا، كلية الآداب (عين شمس، 1393هـ/ 1973م) ص 250.

ذلك التوجه البحري والتجاري لعرب جنوب الجزيرة عامة، وعرب مسقط وعمان بصفة خاصة، وإذا كان من الصعب أن نحدّد بداية العلاقات بين الشرق الأفريقي وعرب الجزيرة العربية خاصة عرب عمان وحضرموت واليمن، إلا أنه يمكن القول أنها اقترنت بركوب البحر وبناء السفن التي تخوض عباب البحر [1].

وظل الاتصال البحري ينمو ويتسع قبل الإسلام، ومما ساعد على نشاط حركة الملاحة (الرياح الموسمية) [2] التي تهب على منطقة المحيط الهندي وتمكن السفن الشراعية المعروفة باسم (الداو أو الداوة) [3] من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود، ففي الخريف تدفعها الرياح في اتجاه جنوبي غربي، فتخرج من خليج عمان إلى المحيط الهندي، ثم تسير بمحاذاة الساحل الأفريقي الذي ينحني في اتجاه جنوبي غربي [4].

وفي فصل الربيع تدفعها في اتجاه شمالي شرقي يمكن السفن من العودة إلى قواعدها في سواحل شبه الجزيرة العربية، ومن خلال دورة الرياح هذه يتم التعامل التجاري، وقد ظلت هذه الرياح الموسمية سراً من الأسرار التي احتفظ بها العرب إلى أن تمكن ملاح إغريقي سنة 45م من كشف اتجاه هذه الرياح، كذلك لم يقتصر العرب بنشاطهم على الساحل الشرقي لأفريقيا وإنما اندفعوا بفضل تلك الرياح إلى الشرق الأقصى حيث وجدت بعض المستوطنات العربية في سواحل الهند وجزر الشرق الأقصى [5]

وكان لانهيار سد مأرب عام 120 ميلادية أي قبل الإسلام بخمسة قرون أثره الكبير في هجرة الكثير من العرب إلى شرق أفريقيا، وخاصة إلى الصومال [6]، كما أن لحالات الجفاف

(1) علي عريبي، المرجع السابق، ص 57 – 58.

(2) الشطشاط: علي حسين: الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا ودورها في نشر الإسلام والعروبة، مجلة الجامعة الأسمرية، العدد الأول، دار المدار الإسلامي (زليتن، 1371و.ر/ 2003م) ص 419.

(3) الحويري، محمود محمد: ساحل شرق أفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، دار المعارف (القاهرة، 1407هـ/ 1986م) ط1، ص 17.

(4) جمال قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص 50.

(5) المرجع نفسه، ص 50 – 51.

(6) النجار، عبدالرحمن: الإسلام في الصومال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة، 1393هـ/ 1973م) ص 55.

والقحط التي مسّت الجزيرة العربية لعصور متتالية دوراً في هجرة العرب إلى أفريقيا بحثاً عن متطلبات العيش[1].

هذه أبرز العوامل التي ساعدت على الاتصال العربي بأفريقيا قبل الإسلام، أضف إليها روح الكشف والمغامرة للّلاحي العرب[2]، أما عن بداية التواجد العربي بأفريقيا، فمن الصعب التوصل إلى حقائق ثابتة، فالروايات المحلية، والدليل الملاحي للمؤلف الإغريقي، أكّدت على العلاقات التي كانت قائمة بين عرب جنوب الجزيرة والساحل الشرقي لأفريقيا، وأشارت إلى ولاء بعض زعماء الساحل لأمراء حمير في جنوب الجزيرة العربية[3].

كما أن التأثير العربي كان واضحاً في الساحل الشرقي لأفريقيا إلى درجة أن أطلق الإغريق والرومان عليه اسم ساحل عزانيا، نسبة إلى إحدى الممالك القديمة وهي مملكة عزان، ويعتقد أنها في منطقة ما في جنوب الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام [4].

ولما كانت الجزيرة العربية تواجه شرق وشمال شرق أفريقيا ولا يفصل بين الجانبين سوى البحر الأحمر، كان من الطبيعي أن يحدث اتصال بين الجانبين بل إن هجرات عربية اتجهت نحو أفريقيا عن طريق باب المندب جنوباً، ولم تكن الهجرات العربية إلى أفريقيا لتستقر على السواحل الشرقية للقارة الأفريقية دون الدخول إلى وسطها [5].

وقد عبرت القبائل العربية مضيق باب المندب من اليمن إلى شرق أفريقيا، ثم عبرت على طول خطوط العرض حتى استقرت في بلاد اليوربا غربي نيجيريا، وأوغلت جنوباً عن طريق بحر العرب والمحيط الهندي إلى زنجبار وشواطئ كينيا وتنجانيقا، ووصلت إلى جبال القمر وهضبة البحيرات ثم إلى خط تقسيم المياه بين نهري النيل والكونغو [6].

---

(1) ظاهر محمد: أفريقيا ما وراء الصحراء، ص 69.

(2) علي الشطشاط، المرجع السابق، ص 420.

(3) علي عريبي: مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية، ص 58.

(4) المرجع نفسه، ص 58.

(5) الجبير، أحمد: العلاقات العربية الأفريقية، الجامعة المفتوحة (بنغازي، بدون تاريخ) ص 11.

(6) محمد يونس: تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الأفريقية، ص 15.

ومن مظاهر الاستيطان العربي على ساحل شرق أفريقيا ما قام به الملوك السبائيون في اليمن في القرن الأول الميلادي من استيطان للساحل الشرقي[1]، وكذلك ما حدث من تزاوج العرب من أفريقيات[2].

وبعد وقوع اليمن تحت حكم الأحباش في القرنين الرابع والسادس الميلاديين، فإن ذلك كان سبباً في النزوح الأفريقي إلى الجزيرة العربية، وهذا مثال للتواصل بالاتجاه المعاكس، وعلى الرغم من ارتباط ذلك بعوامل عسكرية، إلا أن آثار هذا التواصل كانت واضحة [3]، كما يذكر الأصفهاني أخبار حول استقرار العرب في الحبشة، والأحباش في الحجاز، حيث كانت أرض الحبشة (متجراً ووجهةً لقريش) [4].

ومما تقدم يتضح لنا أن مرحلة الهجرة والتواصل العربي الأفريقي على هيئة أفراد وجماعات قديمة ولا شك أنها بدأت في عصور ما قبل التاريخ، وقد تأثرت بعوامل منها عامل الجوار والاقتصاد والثقافة، وهي التي كونت الأسس المتينة للعلاقات العربية الأفريقية مع بلاد ما وراء الصحراء في العصور اللاحقة [5].

وإجمالاً فإنه يمكن القول أن العرب ارتبطوا في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام ببلاد الحبشة وشرق إفريقية، ارتباطاً وثيقاً من النواحي السياسية، والاقتصادية، والتجارية، ويتضح ذلك في الحملات التي يرسلها حكام الحبشة وملوكها إلى بلاد العرب، وأيضاً من خلال رحلات التجار العرب البحرية باتجاه البلدان الأفريقية محملة بالخناجر، والرماح، والزجاج، ثم عودتها محملة بالعاج وقرن الخرتيت والجلود والرقيق [6].

---

(1) علي عريبي، المرجع السابق، ص 63.

(2) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقي، ص 30.

(3) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة عزالدين للنشر(بيروت، 1406هـ/ 1985م) 2/ 380.

(4) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، مؤسسة عز الدين (بيروت، بدون تاريخ) 8/ 52.

(5) ظاهر محمد: التواصل العربي الأفريقية، ص 31، كذلك، علي عريبي، المرجع السابق، ص 63

(6) خديجة الطناشي، المرجع السابق، ص 52.